الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

علاقة السياسة بالأخلاق من منظور مكيافيللي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب:

بوعيشة بن علية

إشراف الأستاذ:

بازة الحاج

السنة الجامعية: 2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية
FACULTY OF HUMANITIES AND SOCIAL SCIENCES

علاقة السياسة بالأخلاق من منظور مكيافيللي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالب:

بوعيشة بن علية

إشراف الأستاذ:

بازة الحاج

السنة الجامعية: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾الآية 9 سورة إبراهيم.

بسم الله والحمد لله كثيرًا، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سلك سبيله واهتدى بهداه إلى يوم الدّين ونشكره عزَّ وجلَّ شكرا كثيرًا على إنهاء هذه المذكرة بقلبٍ مليءٍ بالامتنان والعرفان والتَّقدير نرفع أسمى معاني الشُّكر لكل من كان ذا فضل علينا واقتداءً بقوله تعالى﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾الآية 152 سورة البقرة.

فإنَّنا نتقدّم بأسمى معاني الشُّكر والتقدير والامتنان والمحبة إلى الأستاذ المشرف "بازة الحاج" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وإرشاداته الوجيهة وشرَّفنا بتأطيره لهذا البحث المتواضع.

وشكر خاص للجنة المناقشة لتفضُّلها لقبول المشاركة في تقييم عملنا المتواضع وتقديم الملاحظات القيِّمة من أجل تحسينه وتطويره.

بن علية

إهداء

إلى وطني الغالي : الجزائر الصامدة بأهلها.

إلى الإنسان الذي علَّمني كيف يكون الصبر طريقًا للنَّجاح، سندي وقدوتي : والدي الحبيب أطال الله في عمره.

إلى باعثة العزم والإرادة، التي أعطتني الكثير ولم تنتظر الشكر، صاحبة البصمة الصادقة في حياتي : أمي الحبيبة – رحمها الله -.

إلى أشقائي وشقيقاتي الأعزاء.

إلى عائلتي الصغيرة، رفقاء البيت الطاهر الأنيق: زوجتي وأولادي الأعزاء.

إلى أساتذتي الكرام، وأصدقائي وكل من قدَّم لي يد العون والمساهمة في إنجاز هذه المذكرة.

إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة هذا العمل.

بن علية

مقدمة

مقدمة

إن الفكر السياسي قديمٌ قِدم الإنسان، منذ أن تكوَّنت التجمعات البشرية، مما آل ذلك إلى ظهور عدة مشاكل تمسُّ بالأفراد والجماعات، هذا ما دفع إلى ضرورة تنظيم علاقاتهم داخل التجمعات، فالبحث في النَّظرية السياسية يجب أن يكون له إطار منظَّم واضح المعالم، داخل هذا الإطار نلاحظ أنَّ هناك نزعتين متقابلتين في الفكر السياسي:

إحداهما تغوص في الواقع العملي، وتتولى استخلاص أصول السياسة من طبيعة البيئة القائمة بالفعل، وهي ما يُطلق عليها بـ"النَّزعة الواقعية" أمَّا النَّزعة الأخرى فهي تحدِّد معاني تلك النَّظرية على دعامات فكرية مجرَّدة، فيُطلق عليها "النَّزعة المثالية".

فلو نظرنا إلى "النَّزعة المثالية" لوجدناها مستندة على دعامات أخلاقية، ومن أبرز من مثَّلَ هذه النَّزعة لدينا الفيلسوف اليوناني "أفلاطون" الذي جعل من الأخلاق مبدأ للسياسة، وجعل هذه الأخيرة بداية للفضيلة العامة، فالأخلاق والسياسة أعمدة المدينة الفاضلة عنده، وقد أثَّرت هذه النَّظرية الأفلاطونية فيما بعد على تلميذه "أرسطو" هذا الأخير الَّذي قال أيضًا بضرورة وصل الأخلاق بالسياسة، وقد أثَّرت هذه النَّظرية السياسية المبنية على الأخلاق، في الفكر السياسي في العصور الوسطى وكذا في الحضارة العربية الإسلامية بشكلٍ قوي مع الفارابي.

بينما النَّزعة الواقعية، فتُهمل تلك الدعامات الأخلاقية، ولهذا فهي تفصل الأخلاق عن السياسة وتهتم فقط بالواقع كذلك نجدها تُؤكِّد على السلطة وتتَّسم بالعنف والقوة.

ولأنَّ موضوع السياسة من أهم المواضيع التي تُثار في عصرنا خاصة في الفكر الغربي إرتأينا أن نأخذ نيكولا مكيافيللي كنموذج لفصل الأخلاق عن السياسة، كونه كرَّس معظم

حياته في خدمة دولته إيطاليا فيما يجب أن تكون عليه، لتخرج من واقع الظُّلم والاستبداد، ولأجل وضع حدٍّ لتلك النزاعات والصراعات التي وُصِف بها مجتمعه في عصره.

ومن خلال دراستنا لأهمِّ كتب مكيافيللي السياسية وبعض كتب الفلسفة السياسية خلال عصر النَّهضة والعصر الحديث نجد أنَّه من بين أهم المسائل الأساسية والرئيسية التي طرحها مكيافيللي في مؤَلفاته تتمحور حول: القوة، السلطة، الدولة، العظمة، عن الأخلاق والدين وكذا دراسة الطبيعة البشرية.

حيث يمكن القول أنَّ أسلوبه وآراءه ونظرياته تتميز بالواقعية وهي فلسفة سياسية بحتة، فليس فيها شيء من فلسفة مثالية ولا اللاهوت السياسي، كما أنَّه تطرق كما ذكرنا سابقاً إلى إشكالية السياسة والأخلاق لأنَّهما يشكلان عاملين مهمين في المعاملات بين بني البشر، ومن هنا تنبثق جميع التساؤلات والإشكالات التي سنحاول مناقشتها فيما بعد.

ومن خلال ما سبق ذكره نطرح الإشكالية التالية:

- **هل علاقة السياسة بالأخلاق عند مكيافيللي هي علاقة اتصال أم انفصال؟**

وبناءً على هذا نطرح التساؤلات الفرعية التالية:

1- ما هي الظروف المؤثرة في فكر مكيافيللي السياسي؟

2- ما هي دوافع مكيافيللي في فصل السياسة عن الأخلاق؟

3- ما مدى تأثير المكيافيللية في الفكر السياسي الحديث والمعاصر؟

تتَّضِح أهمية الدراسة في كونها تعالج طبيعة وحقيقة العلاقة بين السياسة والأخلاق التي وضع أسسها النظرية مكيافيللي ومعرفة شخصية الأمير التي اِبتكرها مكيافيللي وأساليب الممارسة السياسية بالإضافة إلى معرفة الغاية التي كان ينشدها.

وعن اختيارنا لهذا الموضوع فقد كان نتيجة دوافع ذاتية وأخرى موضوعية.

تتمثل الدوافع الذاتية في:

- الرغبة في دراسة هذا النوع من المواضيع واهتمامي بالفكر السياسي عامة وبالفكر السياسي المكيافيللي خاصة.
- اقتراح الأستاذ المشرف لهذا الموضوع وتشجيعه لنا على معالجته.

أمَّا الدوافع الموضوعية تكمن في:

- واقعية مكيافيللي التي أثَّرت في عقول الكثيرين، وإعجابنا بشخصيته الغيورة على وطنه.
- الرغبة في معرفة أفكار مكيافيللي السياسية والعمل على إبراز نظريته السياسية خاصة ما يتعلق بالدولة والسلطة وكيفية الحفاظ عليها.
- معرفة نوع العلاقة بين السياسة والأخلاق عند مكيافيللي.
- إبراز دور الفكر السياسي المكيافيللي ومساهمته في تحقيق النهضة الأوروبية عامة وإيطاليا خاصة.

ولقد سعينا في هذه الدراسة إلى تحقيق جُملة من الأهداف التي تلخَّصت في العمل على:

- إبراز أهم أفكار المكيافيللية السياسية ودورها في الحضارات.
- معرفة نوع العلاقة بين السياسة والأخلاق عند مكيافيللي.
- معرفة تاريخ سياسات الحكام والشعوب التي كانت سائدة في عصره، ومعرفة إنتاجه الفكري الذي تركه خاصة كتابه الشهير "الأمير" الذي بقي خالداً في التاريخ.

وفي دراستنا هذه اعتمدنا على منهجين اِثنين تمثلا في:

1- **المنهج التاريخي:** والذي قمنا من خلاله باستعراض الأحداث التي عاصرها مكيافيللي.

2- **المنهج التحليلي:** يظهر من خلال تحليل أفكار مكيافيللي السياسية، وهذا بالاعتماد على أهمّ نصوصه .

وحتى نجيب على إشكالية الدّراسة قمنا بتقسيم هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، كل فصلٍ اِحتوى على مباحثٍ متسلسلة من حيث الترتيب:

- **الفصل الأول:** جاء بعنوان السيرة الذاتية لمكيافيللي وإنتاجه الفكري، ويضمُّ ثلاثة مباحثٍ، ففي المبحث الأول أبرزنا مولده ونشأته وظروف عصره، أمَّا في المبحث الثاني، فقد تناولنا إنتاجه الفكري، وفي المبحث الثالث تعرضنا إلى مكانته في تاريخ الفكر السياسي.

- **الفصل الثاني:** عنوانه فلسفة مكيافيللي السياسية، وقد اِشتمل أيضاً على ثلاثة مباحثٍ، ففي المبحث الأول تناولنا فيه مفهوم السياسة والأخلاق، وتناولنا في المبحث الثاني أنظمة الحكم وصفات الحاكم عنده، وفي الثالث تناولنا موضوع فصل السياسة عن الأخلاق عنده.

- **الفصل الثالث:** عنوانه قراءة في الفكر السياسي المكيافيللي، وقد اِشتمل كذلك على مباحثٍ ثلاث، المبحث الأول تحدثنا فيه عن المكيافيللية والفكر السياسي الحديث، والمبحث الثاني تطرقنا إلى تأثير فكر مكيافيللي على الفكر السياسي المعاصر، أمَّا في المبحث الثالث فقد قمنا بعرض الانتقادات ووجهات النَّظر الموجَّهة للفكر السياسي المكيافيللي، وفي الخاتمة، اِنتهينا إلى جملة من النتائج اِستخلصناها من دراستنا هذه.

ونريد من خلال بحثنا هذا أن نحلِّل موقف أحد أعظم فلاسفة المجتمع الغربي من إشكالية سياسية اجتماعية ألا وهي إشكالية علاقة السياسة بالأخلاق.

ورغم ما كان لنا من رغبة كبيرة في البحث في هذا الموضوع إلَّا أنَّنا واجهنا عدة صعوبات تكمن بالأساس في صعوبة البحث العلمي والتي يمكن تحديدها في صعوبة التعامل مع المصادر والمراجع باللغة الأجنبية.

واعتمدنا في هذه الدِّراسة على مجموعة من المصادر أهمها:

- كتب مكيافيللي "**الأمير**" ، "**مطارحات مكيافيللي**" و "**فن الحرب**".

ومراجع منها:

- كتاب " **ماكيافيلي أمير فلسفة السياسة**" للمؤلف: إبراهيم شمس الدين.
- كتاب "**الأخلاق والسياسة**" تأليف إمام عبد الفتاح إمام.

بالإضافة إلى العديد من المجلَّات والموسوعات والمعاجم.

الفصل الأول: السيرة الذاتية لمكيافيللي وإنتاجه الفكري

المبحث الأول: مولده ونشأته وظروف عصره

المبحث الثاني: إنتاجه الفكري

المبحث الثالث: مكانته في تاريخ الفكر السياسي

المبحث الأول: مولده ونشأته وخصائص عصره

1-عصر مكيافيللي:

توافق الباحثون على أنَّ عصر النهضة (عصر مكيافيللي) يمثل الفترة الزمنية ما بين 1400م، و1600م، وهو العصر الذي يمثل الفترة الزمنية الانتقالية ما بين العصور الوسطى والعصر الحديث.[1]

"لقد أجمع على تسمية العصر الذي عاشت فيه أوروبا في القرن الخامس عشر، عصر النهضة وتفسخ النظام الإقطاعي وعصر التحولات الكبرى في بنية المجتمع الأوروبي على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية ...إلخ".

ولفهم عصر النهضة من الضروري أن نستعرض الحالة السياسية في إيطاليا.

كانت إيطاليا في الأغلب متحررة من التدخل الأجنبي إلى أن غزا الملك الفرنسي "**شارل الثامن**" البلاد سنة 1494.[2]

كما كانت إيطاليا مقسَّمة إلى خمس مدن كبرى، وهذه المدن هي ميلانو والبندقية وفلورنسا وروما ونابولي لكل منها حكومتها ودستورها واستقلالها، فقد كانت إيطاليا في ظل هذه الأوضاع تعاني من وطأة الحكم الإقطاعي وواقع التجزئة والدويلات[3]، وكانت تفتقر إلى حكومة مركزية قوية شبيهة بتلك الموجودة عند دول الجوار.

---

[1] - إبراهيم شمس الدين: **مكيافيللي أمير الفلسفة السياسية**، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، بيروت – لبنان، ص37.

[2] -برتراند راسل: **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، ج3، (د ط)، 1977م، الإسكندرية – مصر، ص ص11 -12.

[3]- مصطفى إبراهيم مصطفى: **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د ط)، 2000م، الإسكندرية – مصر، ص47.

وزيادة على هذا فقد عمَّت الفوضى والفساد الأخلاقي والاجتماعي والسياسي مما أدَّى إلى نشوب الحروب الأهلية* التي كانت تندلع بين هذه الدويلات من الحين إلى الآخر.[1]

وكانت "فلورنسا" ألمع جمهوريات إيطاليا وأعظم مدن العالم حضارة، والمصدر الرئيسي لعصر النهضة، وفي القرن الثالث عشر (13م) كانت فلورنسا مقسَّمة إلى ثلاث طبقات متصارعة: النبلاء، التجَّار والأغنياء، وصغار الناس.

وفي القرن الرابع عشر (14م) تغلب حزب الصغار على حزب الأغنياء والتجَّار، ومع ذلك فإنَّ الصراع لم يصل إلى ديمقراطية مستقرَّة بل إلى نمو تدريجي لمَّا كان اليونان يدعونه "بالحكم الاستبدادي".[2]

ومن خلال هذا التعفُّن السياسي والاجتماعي والأخلاقي الذي كان يسود إيطاليا آنذاك، نشأ الفيلسوف مكيافيللي محاولاً إعادة بنائها على أسس وقواعد جديدة وإعادة وحدتها.

2- مولد مكيافيللي ونشأته

ولد نيكولا مكيافيللي "**Nucola Mchiavelli**" في مدينة فلورنسا الإيطالية عام 1469م، وكان والده أحد المحامين في فلورنسا، يشغل منصبا صغيرا في الحكومة، وتلقَّى مكيافيللي التعليم المعتاد الذي يقدم لأولاد الأسر البرجوازية الشريفة، تعلم اللغة اللاتينية وأولع بالتاريخ الروماني وبدأ بدراسة القانون ولم يتابع هذه الدراسة وبدأ ميله الشديد للسياسة مبكراً (فن الاستلاء على السلطة).[3]

*__الحروب الأهلية:__ هي صراع مسلح بين جماعات المواطنين في دولة ما لأسباب قد تكون دينية، وقد تكون اجتماعية خاصة في الدول المتكونة من عدة قوميات ، كما تكون لأسباب سياسية هدفها إستلاء جماعة على السلطة السياسية، وفي العموم تعبر عن اختلال توازن القوى مما يغري كل طرف بأن يجعله لصالحه على حساب الآخرين (**من موسوعة محمد برهام المشاعلي، الموسوعة السياسية والاقتصادية – مصطلحات وشخصيات**، ص106).

[1] - حاروش نورالدين: **تاريخ الفكر السياسي**، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط2، 2009م، الجزائر، ص279.

[2] - برتراند راسل: **مرجع سابق**، ص14.

[3] - إبراهيم شمس الدين: **مرجع سابق**، ص ص39 – 40.

فقد شبَّ في عهد الأمير المديتشي "**لورينزو العظيم**"، الذي استطاع أن يوازن بين القوى الخمس في المدن الإيطالية، وقد كان مكيافيللي ينتمي إلى أسرة تُكِنُّ العداوة لأسرة مديتشي.

وبعد وفاة "لورينزو" توالت مجموعة من الحكومات على فلورنسا، منها حكومة شبه دينية وأخرى جمهورية وغيرها، ثم استعاد آل مديتشي الحكم لأنَّ النَّاس حينها تعرضوا لأخطار الغزو الفرنسي[1]أي أنَّ مكيافيللي خلال نشأته في هذه المدينة قُدِّر له أن يشهد تحولات أساسية في تركيبة النظام السياسي في فلورنسا.

كان مكيافيللي من محبي المطالعة وقراءة الكتب وكانت له صداقات كثيرة في أوساط الكتَّاب والمفكرين، ممَّا سمح له الحصول على ثقافة ليبيرالية واسعة في شتى المجالات، وهذا ما سمح له بالحصول على منصب مستشار العام للدولة في حكومة الجمهورية الفلورانسية عام 1498م.[2]

ولأنَّه كان يعمل بتفانٍ كبيرٍ في وظيفته، فقد كُلِّف فوق وظيفته بأمانة هيئة **الحرية والسلام** "**Dixde liberté Paix**"*وكان منصبه هذا متواضعاً لا يكفل له إلَّا حياة زهيدة، يكافح في جوٍ قاتمٍ من مؤامرات الزملاء الخسيسة من جهة، وهَمِّ الحاجة من جهة ثانية.

بقيَ مكيافيللي يؤدي مهام وظيفته بوفاءٍ وهمةٍ بالغةٍ حتى تغيَّر نظام الحكم في فلورنسا وعاد الحكم إلى أسرة المديتشي، ولقد كان من جرَّاء ذلك، أن فقد مكيافيللي مصبه.[4]

وهكذا أُبعد مكيافيللي عن وظيفته بعد أن كان في مركز يؤهله لفهم خفايا سياسات الدول الداخلية والخارجية، إلَّا أنَّ هذا لم يمنعه من التعبير عنها في مؤلفاته التي وضعها في

---

[1] - علي عبود المحمداوي: **الفلسفة السياسية**، دار الروافد الثقافية، ط1، 2015م، بيروت – لبنان، ص108.

[2] - مهدي محفوظ: **اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 1428هـ-2007م، بيروت – لبنان، ص22.

***الحرية والسلام"Dixde liberté Paix"**: هي هيئة مكونة من حكام عشر منتخبين يكلفون بوظائف هامة في مقدمتها التخاطب مع ممثلي فلورنسا في الخارج (ينظر إلى: محمد طه بدوي وليلى أمين مرسي: أصول علم السياسة، ص275).

[4] - مهدي محفوظ: **مرجع سابق**، ص22.

الريف التوسكاني بعد نفيه من خدمة آل مديتشي، على أساس اتهامه بالاشتراك بمؤامرة جمهورية للإطاحة بالأسرة الحاكمة، فاعتُقل مع المتآمرين ليعيش في عزلة قسرية في دار للعائلة لمدة 12 عاماً، قضاهم وهو على أملٍ بالعفو عنه والعودة إلى وظيفته ولكن دون جدوى، إذ سرعان ما توفي عام 1527م تاركاً وراءه فكره القيم والذي يعتبر من أهمِّ ما وضع في تلك الفترة.[1]

3- الظروف المؤثرة في فكر مكيافيللي

في عام 1512م حدث حادث خطير أدى إلى تحول جذري في حياة مكيافيللي وفي تاريخ فلورنسا بشكل عام، إذ استولى جنود الحلف على فلورنسا وتربع آل مديتشي على العرش وأُلقيَ القبض على مكيافيللي ورُميَ في السجن وعُذِّب، وبعد خروجه انتقل هو وزوجته وأولاده الأربعة إلى بيت أسرته في سان كاستشانو، حيث قضى السنين الخمس عشرة الباقية من حياته فيها، وحيث عانى من الفقر والحاجة[2] ولكنَّه في هذه الفترة ألَّف الكتب التي أحدثت انقلاباً في الفكر والفلسفة والسياسة في العالم كله.

إنَّ من بين أهمِّ الأسباب التي أثَّرت في فكر مكيافيللي هي: ضعف حال الدولة آنذاك، وكثرة المشاكل السياسية في تلك الفترة، ولهذا كان يرى بأنَّه لابدَّ من نظامٍ ملكي صارم، أو نظام جمهوري، بالإضافة إلى الخدع والمؤامرات التي واجهها مكيافيللي في أروقة ودهاليز السياسة عندما كان ذا شأنٍ في حكومة فلورنسا، وكذلك تأثره الشديد وولعه بالتاريخ. ونتيجة للظروف القاسية والموحشة التي عاناها في منفاه، ألَف مكيافيللي كتاب "الأمير" الذي وضعه عام 1513م أشهر مؤلفاته ثمَ كتاب "المطارحات" 1517م، و"فن الحرب" وأخيراً مُؤلفه "تاريخ

[1] - مهدي محفوظ: **مرجع سابق**، ص22.
[2] - إبراهيم شمس الدين: **مرجع سابق**، ص ص41 - 42 .

فلورنسا" الذي تمَّ نشره عام 1525م فهذه الظروف القاسية أدَّت بمكيافيللي بأن يكتب كتباً غيرَّت مجرى التاريخ.[1]

[1] - تومي عبد القادر: **أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ – 2011م، الجزائر، ص14.

المبحث الثاني: إنتاجه الفكري

إنَّ الظروف التي عاشها مكيافيللي – والتي ذكرناها سابقاً – جعلته يكتسب خبرة سياسية كبيرة وهامة، وكان لابدَّ له من ترك آثارها، حيث خلَّف مكيافيللي ثروة أدبية وفكرية هائلة في شتى المجالات، ومن بين أهمِّ هاته الآثار التي تركها نجد:

2- كتاب الأمير

إنّ السّنوات الخمس عشرة التي قضاها نيكولا مكيافيللي في منفاه "سان كاستشانو" كانت سنوات عزلة موحشة، يعاني فيها الفقر ويُعلِّق نفسه بالآمال، في هذه المرحلة كتب مكيافيللي كتابه الأشهر"**الأمير**" عام 1513م وأهداه لحفيد أسرة المديتشي ليكون هادياً له ومرشداً، أو ربما كان هذا محاولة للتَقرب إليه ليعود إلى الأضواء من جديد.[1]

وهذا الكتاب لم يُطبع إلَّا بعد وفاة مكيافيللي بخمس سنوات أي عام 1532م، وقد تمَّت طباعته عشرين مرة خلال عشرين عاماً نظراً لأهمية محتواه[2]، فهو يضمُّ جميع أفكاره السياسية إذ يعالج المَلَكيات أو الحكومات المطلقة، ويكتب بصورة كاملة تقريباً عن أساليب الحكم، وعن الوسائل التي تقوى بها الدُّول، والسياسات التي تستطيع بها توسيع قوّتها، والأخطاء التي تُؤَدّي إلى انحلالها أو قلبها"[3]، حيث يعالج بداية من الفصل الثاني حتى

---

[1] - مصطفى حسن النَشار: **أعلام الفلاسفة حياتهم ومذاهبهم**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1432هـ - 2011م، عمّان – الأردن، ص182.

[2] - نيقولا مكيافيلي: **الأمير**، تر: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنَشر والتوزيع، (د ط)، 2000م، القاهرة – مصر، ص11.

[3] - هشام محمود الإقداحي: **تاريخ الفكر السياسي**، مؤسسة شباب الجامعة، (د ط)، 2010، الإسكندرية – مصر، ص90.

الفصل الحادي عشر الأنواع المختلفة لنظام الحكم الفردي ومن الفصل الثاني عشر حتى الرابع عشر مشكلة الأنواع المختلفة من الجنود والقدرة العسكرية.

ثمَّ في الفصول من الخامس عشر حتى الثالث والعشرين يعالج أنواع السلوك المختلفة التي على الحاكم أن يتَّبعها أو يتجنبها، وانتهى في الفصل الأخير من "**الأمير**" إلى ضرورة قيام رجلٍ قوي يتمكَّن من توحيد إيطاليا المُمَزَّقة التي تَئِنُّ تحت أقدام الأجانب.[1]

2- كتاب المطارحات

شرع في كتابته في 10 ديسمبر 1513م وانتهى منه عام 1518م، هذا الكتاب مُهدى إلى صديقين صغيرين من أصدقاء مكيافيللي أجبراه على أن يكتب هذا الكتاب، والكتاب في الوقت نفسه دليل على اعتراف مكيافيللي بالفوائد التي تلقَّاها من صديقيه، ويُعالج في كتابه "المطارحات" التاريخ الروماني كلِّه إلى حدٍّ ما، ويتكوَّن كتاب المطارحات من مائة واثنين وأربعين فصلا.[2]

وقسَّم مكيافيللي كتابه هذا إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول:** بدأ فيه الحديث عن الوقائع التي يرى أنَّها جديرة بالتعليق بالنسبة إلى خصائصها العامة والقرارات التي اتخذها الرومان في شؤونهم الداخلية.

[1] - إمام عبد الفتّاح إمام: **الأخلاق والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)**، دار الكتب المصرية، (د ط)، 2001م، القاهرة – مصر، ص ص253 – 254.

[2] - ليوشتراوس وجوزيف كروسي: **تاريخ الفلسفة السياسية**، تر: محمد سيد أحمد، مر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، (د ط)، 2005م، الجزيرة، القاهرة – مصر، ص ص439 - 440.

- **القسم الثاني:** تحدَّث فيه عن الإجراءات التي اِتَّبعها الشعب الروماني لتوسيع إمبراطوريته.

- **القسم الثالث:** تحدَّث في هذا القسم عمَّا أسهمت به بعض أعمال الرجال في عظمة روما وما حققته من منافع.[1]

3- **فن الحرب "The Art of War"**

كُتب بين عام 1519م و1520م وهو العمل السياسي أو التاريخي الوحيد الذي طُبِع في حياة مكيافيللي، وينقسم إلى مقدمة وسبعة فصول، وهي تأخذ شكل سلسلة من الحوارات وأهداه إلى **"لورينزو"** الابن الأعظم **"لبيردي مديتشي"**.[2]

وأعلن فيه للدول والقوّاد شرائع السلطة العسكرية يقال: " إنّ الأمة التي تفقد الفضائل العسكرية أمَّة هالكة لا محالة والجيش لا يحتاج إلى الذهب بل إلى الرجال" أي أنَّ الغرض من هذا الكتاب كما أعلنه اللورد **"فابريزيو كولنا"Fabrizo Colonna** هو تكريم ومكافأة الفضيلة وعدم احتقار الفقر.[3] ونظراً لأهمية الكتاب أثناء القرن السادس عشر، ظهرت له واحدة وعشرون طبعة مختلفة الترجمة.

[1] - نيقولا مكيافيلي: **مطارحات مكيافيلي**، تعريب خيري حمّاد، دار الآفاق الجديدة ،ط3، 1982م،بيروت – لبنان، ص82.
[2] - نيقولا مكيافيلي: **فن الحرب**، تر:صالح صابر زغلول، مر: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، ط1، 2012م، القاهرة – مصر، ص21.
[3] - إبراهيم شمس الدين: **مرجع سابق**، ص45.

4- كتاب تاريخ فلورنسا

هو عمل فُوِّض بكتابته في عام 1520م وقدَّمه للبابا المديتشي "**كليمانت السابع** Clement VII في عام 1525م.[1]

يقع هذا الكتاب في ثماني مجلدات يعرض فيها تاريخ فلورنسا والمصاعب التي مرَّت بها منذ أقدم العصور حتى وفاة "**لورينزو مديتشي**" عام 1492م وهدفه فهم قوانين السلطة والتنظير لها.[2]

5- كتاب المواعظ

شرع مكيافيللي في كتابه المواعظ وامتدت فترة الكتابة إلى عام 1520م إذ أنَّ مكيافيللي كان يكتب وفقاً لأوقات فراغه، ولم يُنْهِ هذه "**المواعظ**" التي انتشرت مخطوطة في البداية ثمَّ طُبعت عام 1532م. إنَّ المواضيع المتضمنة هنا مألوفة وهي بالإجمال كلاسيكية للغاية، يقول فيها مكيافيللي أنَّ الديمقراطية هي مصدر الفضيلة وهي التي تثبت العظمة الرومانية، أمَّا دمارها فإنَّما يعود إلى التخلي عن أشكال المشاركة الشعبية القديمة.

من خلال هذه المؤلفات الخمسة تمثَّلت أهمية مكيافيللي الفكرية والسياسية، وبالإضافة إلى ما ذُكر، ترك مكيافيللي أيضا كوميديا اسمها "**ماندرا جولا**" **Mandra gola** وأخرى

[1] - كونتين سكندر: **أسس في الفكر السياسي الحديث**، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ج1، ط1، 2012، الحمراء، بيروت – لبنان، ص ص308 – 309.
[2] - نيقولا مكيافيلي: **مطارحات مكيافيلي**، مصدر سابق، ص77.

اسمها "**كليزيا**" ورواية اسمها سيرة "**كاستشروتشيو كاستراني**"، كما أنَّه كتب في فنِّ القصة واحدة من أحب القصص للشعب الإيطالي: وهي قصة "**بيلفا جوراتنشيديا فولو**" **Gor arcidia volo beffa** وهي قصة فكاهية تتخذ من الزّواج والأزواج موضوعا لها.

المبحث الثالث: مكانته في تاريخ الفكر السياسي

لقد كان لظهور أفكار مكيافيللي وفلسفته السياسية الأثر الفعَّال حتى أنَّ الكثير من الفلاسفة والمفكرين وعلماء السياسة يُقسِّمون تاريخ الفكر السياسي إلى مرحلتين رئيسيتين:

1- ما قبل مكيافيللي.

2- ما بعد مكيافيللي.

ولا يمكن تبرير السياسة المكيافيللية من حيث الوجود إلَّا بسابقتها فهي تختلف عنها من حيث المضمون والدَّلالة لأنَّها بكل بساطة نقطة انطلاق جديدة في تاريخ الفكر السياسي.

لم يتوقع مكيافيللي أبداً أنَّ كتابه "الأمير" الذي انتهى من كتابته قبل وفاته بأربعة عشر عاماً سيصبح مرجعاً سياسياً هاماً للكثير من قادة العالم عقب الثورة الصناعية، كما أنَّه لم يُخيل إليه أن يصبح الكتاب ذا أهمية في عالم السياسة.

وبشهادة الكثير من المؤرخين فإنَّ هذا الكتاب يُعتبر أوَّل ما كُتب في علم السياسة الحديث، الذي تفرق وتشعب وتعدد في عصرنا الحالي وأصبح علوم سياسية تدرس في شتى جامعات العالم.

ومنه نقول أنَّ مكيافيللي له مكانة بارزة بين المفكرين والسياسيين والفلاسفة ومن بين هؤلاء نجد الفيلسوف والعالم ورجل الدولة الانجليزي البارز "**فرنسيس بيكون**" **(1561 - 1626) Francis Bacon**، بعد دراسته لمؤلفات مكيافيللي بإمعانٍ تأثَّر بطريقته الاستقرائية لِما ورد فيها من آراء جديدة كلِّياً في بابها فكتب ما يلي: "ينبغي أن نشكر مكيافيللي وأمثاله

من الكُتَّاب الذين يقولون صراحة وبدون تمويه ما اعتاد الناس أن يفعلوا، لا ما يجب عليهم أن يعملوا".[1]

كما نجد "**بنتو موسوليني**" **Bento Mussolini (1883-1945)** شديد الإعجاب بمكيافيللي وكتابه "الأمير" حتى أنَّه تعرَّض له بالتحليل في خطبته الشهيرة[2]، وقد قِيل أنَّه اختاره موضوعا لرسالة الدكتوراه أيام دراسته.

ونجد أيضا "**أدولف هتلر**"**(1889 -1945) Adolf Hitler** كان يضع هذا الكتاب على مقربة من سريره ويقرأ فيه كل ليلة قبل أن ينام.

بالإضافة إلى ذلك يقول "**جان جاك روسو**"**(1712-1778) Jaen jackues rousseau في مكيافيللي:** "كان مكيافيلي يتظاهر بإعطاء الدروس للملوك لكنَّه أعطى الدروس للشعوب، كما أنَّ أهمية مكيافيلي تكمن في حيوية فكره الدؤوب والعاكف على مسائل حدَّدها باختياره، يطرد كل ميتافيزيقا من السياسة ويفصل فصلا جذريا بين مدينة الله ومدينة البشر وهكذا فإنَّه يجعل مدينة البشر من اختصاص العقل البشري وحده وبهذا فقد رفض العديد من المفاهيم الوسيطية عن عمدٍ التي مازالت حينذاك حيَّة لدى الكثير من معاصريه وبالتالي فإنَّه قد مهَّد التربة إن صحَّ القول لبناء صيغ إحداثيات جديدة.[3]

كما أن أفكاره السياسية لاقت إعجاباً كبيراً من طرف أنصار الحكم الاستبدادي المطلق في معظم الدول الأوربية، فالملوك الذين ترددوا في السير خلف شعار"الغاية تبرر الوسيلة" وجدوا في كتاباته الوسيلة التي حررتهم من هذا التردد، أمَّا في القرن العشرين فحصلت أفكاره على قوة أكبر عند اليمين المتطرف كما عند اليسار المتطرف، حتى في القرن التاسع عشر

---

[1] - جان توشار: **تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط**، تر: ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 2010م، دمشق – سوريا، ص358.
[2] - إمام عبد الفتَّاح إمام: **مرجع سابق**، ص259.
[3] - جان توشار: **مرجع سابق**، ص359.

لاقت ترحيبا عندما يسميهم مؤرخ الأفكار السياسية "**فيليب نيمو**"* **Philippe Nemo** "**بأسياد الشك**" ماركس و نيتشه حيث أنَّ ماركس قرأ بإمعانٍ مؤلفات مكيافيللي ولاسيما المطارحات التي أُقتبست منها معلومات كثيرة فيما يتعلق بوضع النبلاء في فلورنسا والبندقية وفي رسالة إلى أنجلز سمى ماركس كتاب "المطارحات" بالمؤلف الرفيع ذلك لأنَّ صاحبه واحدٌ من الذين بدأوا ينظرون إلى الدولة بعين إنسان ويستخلصون قوانينها من العقل والتجربة لا من اللاهوت.[1]

بالإضافة إلى ذلك فقد كان مشهوراً في الأوساط الجامعية الفرنسية كمفكر سياسي كبير وخاصة عند المفكرين المقرَّبين من الماركسية، وعلى سبيل المثال نذكر هنا أنَّ المُنظِّر الماركسي الشهير **أنطونيو غرامشي** اعتبر أنَّ النَّظرية المكيافيللية في كتاب "الأمير" هي أول نظرية للثورة، كما كانت اليعقوبية** في فرنسا "الثورة" الفرنسية وروسيا البلشفية، التجسيدات التاريخية الأولى لكتاب "الأمير".[2]

وبعد كل الذي ذكرناه سلفاً، يُعتبر مكيافيللي أهم مجدِّد للفكر الفلسفي بصفة عامة، والفكر السياسي بصفة خاصة، فهو ليس مجرد فيلسوف أو صاحب نظرية بل إنَّه كان مشتركاً بقوة في الحياة السياسية المضطربة وغير المستقرة التي مرَّت بها مدينة " فلورنسا" في الفترة التي عاش فيها.

---

*__فيليب نيمو Philippe Nemo:__ مؤرخ وفيلسوف مسيحي فرنسي، وُلد في 11ماي 1949م بباريس، صاحب مؤلَّف "**الموت الرحيم للإلحاد المعاصر**".

[1] - مظهر كمال: **ميكيافيليو المكيافيلية**، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، (د ط)، 1984م، بغداد – العراق، ص91.

**__اليعقوبية:__ نظرية فلسفية/إدارية اِنطلقت إثر الثورة الفرنسية سنة 1789م، نسبة إلى نادٍ تأسس إبَّانها في ديرٍ سابقٍ للرهبان.

[2] - صلاح علي نيوف: **مدخل إلى الفكر السياسي الغربي**، كلية القانون والعلوم السياسية الأكاديمية العربية في الدانمارك، ج1، (د ط)، (د ت)، (د ب)، ص66.

الفصل الثاني: فلسفة مكيافيللي السياسية

المبحث الأول: مفهوم السياسة والأخلاق

المبحث الثاني: أنظمة الحكم وصفات الحاكم عند مكيافيللي

المبحث الثالث: فصل السياسة عن الأخلاق عند مكيافيللي

المبحث الأول: مفهوم السياسة والأخلاق

أولا: ضبط مفهوم السياسة

1-التعريف اللغوي:

مصدر ساسة يسوس سياسةً فيُقال: ساس الدواب وأدَّبها. و- الناس- سياسة تولى رياستها وقيادتها.[1]

عند العرب: تعني التدبير والتنظيم، ففي معناها العام يقصد بها حسن التدبير والعناية بالشيء، فكلُّ ما هو قابل للتدبير هو موضوع لها، مأخوذة من الفعل ساس بمعنى روَّض ومنها السائس أي المُروِّض، الذي كان يخوض الدواب والحيوانات كالخيل. والوالي يسوس رعيته أي يروضها، وبالتالي فإنَّ السياسة تأخذ معنى تأنيس وتدجين المتوحش، وترتبط بمقصد العناية بالشيء.[2]

2-التعريف الاصطلاحي:

- **Politique** وتتكون الكلمة من مقطعين **Polis** ومعناها المدينة و**Tichne** أي فنُّ التدبير ومعناها معاً فن التدبير وإدارة المدينة أي تنظيم حياة الأفراد في مجتمع له أساليبه المدروسة ونُظمه المحبوكة.[3]

- وقد عُرف أيضاً "ما كان به النَّاس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد" وهذا التَّعريف يحمل المعنى الشامل الأقرب إلى حاجة البشر للصلاح وقيم الفضيلة".[4]

---

[1] - إبراهيم أنيس وآخرون: **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية، ج1، ط2، 1992م، القاهرة – مصر، ص462.
[2] - ابن منظور: **لسان العرب**، دار الفكر، ط1، 1990م، بيروت – لبنان، ص35.
[3] - وولف فرنسيس: **أرسطو والسياسة**،تر: أسامة الحاج، دار النشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1994م، بيروت – لبنان، ص08.
[4] - محمد وقيع الله:أحمد: **مدخل إلى الفلسفة رؤية إسلامية**، دار الفكر، ط1، 2010م، دمشق – سوريا، ص ص19 – 20.

- **في العصور الوسطى:** في الفلسفة المسيحية، يرى توما الإكويني بأنَّ السياسة تستهدف البشر وهي كيان ينظِّم الشعب أو الجماعة خلال قانون عادل.[1]

- **في الإسلام:** حدّثنا محمد بن بشَّار،حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شُعبة عن فُرات القزَّاز عن أبي حازم قال: "كانت بني إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلَّما هلك نبي خلفه نبي وإنَّه لا نبي بعدي وستكون خلفاء قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فُوا ببيعة الأول وأعطوهم حقهم فإنَّ الله سائلهم عمَّا إسراعهم".[2]

- **في قاموس المحيط:** سَيَّستُ الرعية سياسة، أي أمرتها ونهيتها وفلان مجرِّب قد ساس وسُيِس عليه، بمعنى أدَّب وأدبَّ وأمر وأمر.[3]

- **وفي الموسوعة العربية:** فالسياسة تعني فنَّ ممارسة القيادة والحكم وعلم السلطة وأوجه العلاقة بين الحاكم والمحكوم.[4]

3- التعريف الفلسفي: تُعتبر السياسة من الأمور والموضوعات التي اِهتمَّ بها الفلاسفة لأنَّها تتناول التنظيم الاجتماعي ووضع قيود ومعايير للسلوك الإنساني، فهي الأمر الذي يرتبط بتملك السلطة وكيفية تطبيقها وممارستها بواسطة المؤسسات الهادفة لتدبير الشؤون العامة، وبالتالي فالسياسة موضوعها الرعاية، والتدبير هدفها.[5]

---

[1] - محمد نصر مهنا: **علوم سياسة الأصول والنّظريات**، مؤسسة شباب الجامعة، (د ط)، 2009م ،القاهرة – مصر، ص73.

[2] - رواه مسلم **في الصحيح**، 8194،الحديث رقم : 442.

[3] - محمد الفيروز آبادي: **قاموس المحيط**، (د ن)، ج1، (د ط)، 1913م، (د ب)، ص222.

[4] - عبد الهاب الكيلاني: **موسوعة السياسة**، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ج3، ط2، 1993م، عُمان – الأردن، ص362.

[5] - منصور بن لرنب: **أي مستقبل لعلم السياسة في العالم العربي**، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والإعلامية، (د ط)، (د ت)، (د ب)، ص124.

ثانيا: مفهوم الأخلاق

1- التعريف اللغوي:

- **في العربية:** الأخلاق جمع خُلق، وهو السجية والطبع، ويردُّها البعض إلى ملكة الحس تصدرها بها عن النفس بسهولة من غير تقدم فكر، وروية وتكلف، فغير الراسخ من صفات النفس كغضب الحليم لا يكون خُلقاً. وكذلك الراسخ الذي لا يكون مبدأ للأفعال كالبخيل إذا حاول أن يكون كريماً.[1]

- **في اللاتينية:** الأخلاق يُعبَّر عنها في اللغات الأوروبية بالكلمتين **(Ethics)** و**(Morales)**، وتشتقان من **(Ethica)** و**(Mors)** اللاتينيتين. كلاهما ينحدر من أصل يوناني، فتعبِّر الأولى في العربية بـ"الأخلاق" جمع خُلق، والثانية بالآداب.[2]

2- التعريف الاصطلاحي:

الأخلاق جملة قواعد السلوك المقرَّرة في المجتمع والتي يجب على كلِّ فرد أن يَلزمها، أو هي التصرفات من حيث حسنها أو قبحها، وعندئذ تكون الأخلاق حسنة أو قبيحة.[3]

ويتم تناولها اصطلاحاً أي مفهوم الأخلاق من خلال:

- **نظرية القيم:** والقيم هي الآثار التي ينتجها الشخص حتى يتمكن من التعايش مع المجتمع، فلو عمل شيء للمصلحة العامة يكون ذا قيمة اجتماعية، ونحن إذا عملنا في الواقع نعمل لقدرتنا على طرح هذا الفعل أو ذاك لجدارته بالعناء الذي يُبذل من أجله.[4]

---

[1] - عبد المنعم حنفي: **المعجم الفلسفي**، الدار الشرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1990م، القاهرة – مصر، ص13.
[2] - أندرييه لالاند: **الموسوعة الفلسفية**، منشورات عويدات، المجلد1، ط1، 1981م، بيروت – لبنان، باريس، ص371.
[3] - محمود يعقوبي: **المعجم الفلسفي**، دار الميزان، ط2، 1998م، الجزائر، ص49.
[4] - العوا عادل: **الأخلاق**، المطبعة الجديدة، (د ط)، 1997م، دمشق – سوريا، ص233.

أمَّا إذا عدنا للحديث عن "فلسفة القيم" **(Philosophy Values)** أو "إكسيولوجيا" **(Axiology)** علم القيم، فهي كلمة يونانية ترجع إلى "أكسيوس" **(Axios)** وتدل على معنى ما هو ثمين أو جدير بالثقة، فالأكسيولوجيا علم يبحث فيما هو ثمين بتقدير قيمته.

وقد جذبت فلسفة القيم اهتمام طائفة من العلماء والفلاسفة، وكل منهم يعمل في اتجاه معين وبروحٍ خاصة، فمن العلماء الذين كانت لهم دراسات متخصصة في القيمة علماء اللاهوت مثل "لالاند" والأخلاق مثل "شيلر" و"سبينوزا" وغيرهم.

وتبعاً لاستخدام لفظ القيمة في ميادين متعدِّدة مثل اللاهوت، وعلم النفس، والاقتصاد، والمنطق، والفنّ والأخلاق يتحول معنى القيمة من دلالة مشخَّصة يومية إلى دلالات بين مجرَّدة ومعنوية، وإنّ الدلالة الأولية لكلمة "قيمة" تتجلى فيما يدل على صفة ما يُقدِّره إنسان ما تقديرا يزيد أو ينقص (قيمة ذاتية) أو يدلّ على ما يستحق هذا التقدير على نحو يزيد أو ينقص (قيمة موضوعية).

– **الدين:** الأخلاق شريحة من شرائح الدين وشرعه تقوم به وتستمد منه، ولا تنفصل عنه "وهي من الأصول التامة التي لا تتغير بتغير الزمان والمكان فهي مرتبطة بالإنسان نفسه وبفطرته التي فطره الله تعالى عليها التي لا تتبدل ولا تتغير".[1]

– **علم الاجتماع:** الأخلاق عبارة عن "ظواهر اجتماعية قابلة للتغيير بتغير الزمان والمكان، أو بتغير الثقافة والتاريخ، وهذا ما يؤدي بالقواعد الأخلاقية إلى التغير وفقاً للتطور التاريخي للمجتمع، فالذي يمكن اعتباره أخلاقياً عند مجتمع معين يمكن أن يُوصف باللاأخلاقي عند مجتمع آخر".[2]

[1] - الجندي أنور: **مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام**، دار الكتب،(د ط)، (د ت)، الجزائر، ص54.
[2] - العوا عادل: مرجع سابق، ص233.

2- السياق الفلسفي لمفهوم الأخلاق

تُطلق الأخلاق على العلم الذي يبحث في الطرق المثلى للسلوك الإنساني في المجتمع الذي يعيش، وتُطلق على مجموعة من الأحكام أو الأفكار، والعادات التي تتصل بحقوق الإنسان.

لقد عنت تقريباً كل المذاهب الفلسفية بموضوع الأخلاق فنجد منها:

أ- **الأفلاطونية:** الأخلاق الأفلاطونية هي المثال الأول في الفكر الغربي للأخلاقيات المبنية على أساس العلوية، "فقد أُقتبست هذه الأخلاق من الفيثاغوريين كما يبدو، وفكرة أنَّ النِّظام الإلهي هو الذي يهيمن على الكون ذو طبيعة رياضية، وأنَّ الروح حبيسة الجسد فلا يستطيع منه فكاكا".[1] أي كل الفضائل يمكن تحديدها ضمن العلاقات، فالعدالة هي "المساواة" والاعتدال هو "القياس".

ب- **المثالية:** ترى أنَّ الأفكار والمقولات أو "المُثل موجودة وجوداً، وهو أسمى من الوجود المحسوس، والموضوعات ليس سوى انطباعات حسِّية أو أفكار باعتبارها تمثيلات ذهنية"[2]، إنَّ غاية القانون الأخلاقي في المثالية هو تحقيق الخير الأسمى في عالم لا يتجاوز الظواهر، يفترض أن يكون هناك إنسان يواصل تقدمه وكماله باستمرار، وهذا ما يسمى بخلود النَّفس.

ج- **العقلانية:** العقل عندهم هو مقياس كل شيء، فهو قادر على تحرير الإنسان من قيوده وجعله أكثر انسجاماً مع الطبيعة، فقد حاول العقليون إقامة أخلاق بِناءً على مبادئ يقينية مطلقة، وهذه الخبرة لا تكون إلَّا في المسلمات والبديهيات العقلية، "فينبغي على العقل أن يصنع ويُبدع قانوناً يُنظِّم رغبات الإنسان المتنافرة، فالعقل اتجاه حركة الذهن في منحنى

[1] - غريغوان فرانسوا: **المذاهب الأخلاقية الكبرى**: تر: قوتيه المعروفي، منشورات عويدات، ط3، 1984م، باريس، ص37.
[2] - أمين عثمان: **روّاد المثالية، الفلسفة الغربية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، (د ط)، (د ت)، القاهرة – مصر، ص07.

البداهة الفكرية، فهو ضرورة حتمية وخاصية تمكِّنه من أن يكون مستقلاً عن الإنسان المفكِّر من جهة، ومستقلاً عن موضوع الحسِّ من جهة أخرى، وأنَّ الصِّلة بين المعرفة والعقل تمكِّنه من معرفة قوانين الكون وقواعد السلوك معاً"[1].

إنَّ المنظور الفلسفي للأخلاق والسياسة منذ "أفلاطون" و"أرسطو" يَعتبر السياسة مجالاً لتحقيق الفضائل الكبرى، ولتدبير شؤون المدينة على قاعدة الأخلاق باعتبارها مجموعة من قيم وفضائل، مصدرها العقل وغايتها تحقيق العدالة وحفظ الكرامة، فغاية السياسة من هذا المنظور الفلسفي للأخلاق غاية أخلاقية بالدرجة الأولى، فالعدالة فضيلة بل هي ((أم الفضائل)).

[1] - جنفياف روديس لويس: **ديكارت والعقلانية**، تر: عبده الحلو، منشورات عويدات، ط2، 1977م، بيروت - باريس، ص171.

المبحث الثاني: أنظمة الحكم وصفات الحاكم عند مكيافيللي

نتعرض في هذا المبحث لمعالجة مراحل تبدل الحكومات وشكل الحكم الأصلح من وجهة نظر نيكولا مكيافيللي، مع الوقوف على أهم الوظائف والمقومات الضرورية لتأسيس الحكومة والحفاظ عليها، وفيه نورد أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في الحاكم حسب مكيافيللي، خصوصاً أنَّه لا يهدف للوصول إلى الحكومة المثالية، بل البقاء في الحكم وجعله آمناً.

أولا: أنظمة الحكم وأشكال الحكزمات

تُعدُّ الحكومة**(Gouvernement)** وأشكالها من الموضوعات الجوهرية في علم السياسة. في البداية لا بدَّ أن نتطرق إلى معنى الحكومة لغةً واصطلاحاً:

أ- تعني الحكومة في الاصطلاح اللغوي: حكم عليه بالأمر، وحكم بينهم حكماً وحكومةً، أي قضى، وحكموه بينهم، أمروه أن يحكم[1].

ب- على أنَّ الحكومة في اصطلاح الفلاسفة تعني: "الإدارة، التدبير، التوجيه: كإدارة الأعمال، تدبير شؤون الدولة، توجيه سياستها"[2].

ج- أمَّا الحكومة عند علماء السياسة: لها مفهوم أكثر دقة، فهي تشير في رأيهم، وحسب ما جاء به جورج بوردو في كتابه "**العلوم السياسيةج4**"، بأنَّها ممارسة السلطة في جماعة سياسية معينة، وبالتالي يكون المقصود من كلمة حكومة نظام الحكم في الدولة أي كيفية ممارسة صاحب السيادة للسلطة العامة وشكل الحكم.

[1] - جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، (د ط)، 2006م، ص493.
[2] - **المرجع نفسه**، ص494.

رغم تعدُّد الاستعمالات لكلمة الحكومة، فإنَّها تعني جميع الهيئات الحاكمة في الدولة، وهناك أشكال مختلفة تُمارس من خلالها السلطة أو الحكومة حسب الدول والفترات التاريخية التي مرَّت بها، والتطورات التي حصلت في الفكر السياسي الإنساني، والحكومات قد تكون فردية أو أقلية، ومن ثَمَّ الحكومات الشعبية أو الديمقراطية، حيث يكون الشعب مصدر السلطة ومصدر السيادة".[1]

يظهر لنا من خلال النَّص إذن أنَّ الحكومة بمفهومها العام ممارسة السيطرة على الآخرين والتحكم في سلوكهم اقتصادياً، اجتماعياً، دينياً...إلخ.

اِنطلاقاً من هذا المفهوم يمكننا التَّعرف على الحكومة من خلال مؤسستها التي تضطلع بالمحافظة على النِّظام والأمن العام للدولة ولمواطنيها كذلك من حيث هي الوجود الفعلي للإنسان كما يراها هيغل.

الإشكال الذي يعالجه مكيافيللي هاهنا المتعلق بالحكومة وطبيعتها هو:

على أيِّ أساس تُصنَّف الحكومات؟ وما هي الأشكال التي تتخذها النُّظم والحكومات؟

أمَّا بخصوص التساؤل الأول يستهلُّ مكيافيللي حديثه عن المدن الحرَّة من جمهوريات وإمارات بحيث يميزها في نشوئها، وقوانينها، ومؤسساتها السياسية عن المدن الخاضعة لسلطة أخرى، أو لحكم أجنبي، أو تحت الوصاية بالمفهوم السياسي.

مستشهداً من التاريخ على نماذج لحكومات من هذا النوع، ويأتي على ذكر مدينة "**إسبارطة**" وقائدها" **ليكيرجوس**" قائلا: "فلقد أُتيح لبعضها منذ مستهل عهدها، أو بعد قيامها بأمدٍ قصيرٍ، شخص يظهر في وقت من الأوقات فيُشرِّع لها قوانينها، كما حدث بالنسبة لإسبارطة، التي سنَّ لها ليكيرجوس شرائعها، بينما حصل البعض الآخر، على

[1] - ناظم عبد الواحد الجاسور: **الموسوعة السياسية والفلسفية والدولية**، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، ط1، 1429هـ – 2008م، ص ص277 – 278.

هذه القوانين في أوقات متفاوتة، بتفاوت، الظروف، وهذا ما حدث بالنسبة إلى روما مثلا"[1].

انطلاقاً مما ورد في النَّص يمكن أن نستنتج أنَّ الأساس الأول الذي تقوم عليه الحكومات هو الدستور، ذو الطبيعة القانونية والسياسية، والذي أساسه تمارس الدولة سلطتها السياسية، ولاسيما إن كان الحاكم المشرِّع الوحيد لهذا الدستور، ليمثل لنا نموذجاً عن الحكومة المطلقة كما سبق ذكره في النَّص.

أمَّا بالنسبة للتساؤل الثاني بحيث يستهدف مكيافيللي، من حديثه هذا، منظمات مدينة روما، وعن الأحداث التي أدَّت إلى كمال جمهوريتها، ويقول في هذا الشأن: "ولمَّا كان هدفي الحديث عن منظمات مدينة روما، فإنَّني أودُّ القول بأنَّ الذين كتبوا عن الدول، يقولون أنَّها – أي هذه الدول – لا بدَّ أن تكون منطوية على أحد أشكال الحكم الثلاثة، وهي الإمارة وحكم النبلاء وحكم الشعب، وأنَّ على من يقيمون حكومة في أي دولة معينة، أن يتبنوا أحد هذه الأشكال الثلاثة، طبقاً لما يتفق وأهدافهم"[2].

يتعرض مكيافيللي من خلال ما ورد في النَّص لأنواع الحكومات، مؤكدًا أنها لا تخرج عن الأشكال الثلاثة وهي: الحكم الملكي وحكم النبلاء وحكم الشعب، وعلى كل حاكم أن يختار الشكل المناسب له ويتوافق مع أهدافه، ويخدم شعبه.

هذا التصنيف للحكومات يعتمد أساساً على معيار الفئة الحاكمة، والتي تكون بيدها السلطة السياسية، فهي قد تكون – أي السلطة – بيدِ شخص واحد ينفرد بالحكم، وقد تكون بيد قلة متميزة من الأفراد يشكلون فيما بينهم نُخبة، وقد تكون بيد الأغلبية أو ما

[1] - نيقولا مكيافيللي: **مصدر سابق**، ص216.
[2] - نيقولا مكيافيللي: **مصدر سابق**، ص217.

يُطلق عليهم عامة الشعب الذي يُعدُّ مصدراً للسلطات التي تتمتع بها الحكومة، وفيما يلي سنتحدث بشيء من التفصيل عن كلِّ شكل من أشكال الحكومات يؤول إليه[1].

يري مكيافيللي على لسان آخرين أنَّ هناك ستَّة من أشكال الحكم، ثلاثة منها سيئة وهي النقيض، وثلاثة حسنة ومن السهل إفسادها، ولذا يمكن وصفها أيضاً بالسيئة.

أمَّا الأشكال الحسنة الثلاثة فهي التي سبق لنا ذكرها، وتكون الأشكال السيئة الثلاثة تابعة وممتدة للثلاثة الحسنة، وتتشابه فيما بينها إلى حدِّ يجعلها ميَّالة من شكلها الحسن إلى نقيضه السيئ، فمن السهولة بإمكان التحول من الحكم الملكي إلى حكم الطغيان، ومن حكومة النبلاء (الارستقراطية*) إلى حكم القلة (الأوليغارشية)*. وحكومة الديمقراطية*** إلى حكم الفوضى أو الغوغاء على حدِّ تعبير مكيافيللي حيث يقول: "وهكذا يكون من يقوم بتشكيل حكومة ويختار لها أحد الأشكال الثلاثة الأولى، قد اِختار

---

[1] - إسماعيل علي سعد: **النَّظريات والمذاهب والنُّظم (دراسات في العلوم السياسية)**، دار المعارف، الإسكندرية – مصر، (د ط)، 2005م، ص188.

***الارستقراطية (Aristocrace):** يُعدُّ هذا المصطلح من المصطلحات ذات الأصول اليونانية المشتقة من مقطعين معناهما " حكم الأفضل"، وفي معناها السياسي العام، بأنَّها الطبقة الاجتماعية النبيلة التي تتولى الحكم، وتتمتع بامتيازات خاصة كالمال والجاه والمراكز الاجتماعية التي يكتسبونها بالوراثة. وللأرستقراطية معنى سياسي، إنَّها الفئة الاجتماعية التي تتميز عن غيرها بالمال، وتعيش على فائض القيمة للفئات الاجتماعية الأخرى. (ناظم عبد الواحد الجاسور: **موسوعة المصطلحات السياسية، مرجع سابق**، ص ص 75- 76.

****الأوليغارشية (Oligarchie):** يعتبر أفلاطون أوّل مفكر سياسي في تقسيمه الحكومات إلى عدة أنواع، محدِّداً أنماطها وسماتها حيث الجمهورية المثالية، الديمقراطية، الأوليغارشيةالتي تعني حكم القلة، والتي هي امتداد للحكم الارستقراطي، وفي كتابه السياسي، يقدم أفلاطون ستة أنواع من الحكومات ثلاثة تتقيد بالقانون وتحترمه، وثلاثة أخرى لا تلتزم بالقانون، ومنها الأوليغارشية بالإضافة إلى الاستبدادية والديمقراطية المتطرفة أو الغوغائية. وقد جاء بعده أرسطو الذي قسَّم الحكومات إلى نقية: ملكية، أرستقراطية، دستورية، وحكومات فاسدة: استبدادية، أوليغارشية، ديمقراطية غوغائية. وقد اعتبر الأوليغارشية كمسخ للأرستقراطية، ويعرفها حيث يحكم الأشخاص بسبب ثرائهم سواء أكانوا كثرة أو قلة، فإذن هذه هي الأوليغارشية التي تمثل مسخا للأرستقراطية كنوع طبيعي من الحكم.فأساس الأوليغارشية هي الثروة إلاَّ أنَّ أرسطو الذي يرى في الأوليغارشية بأنَّها تأتي كنتاج للتنافس، والقوة العسكرية، فإنَّها أفضل من الاستبدادية إذ أنَّها تتضمن بعض التوزيع عل الأقل بالنسبة للحق السياسي والسلطة.(**المرجع نفسه**، ص ص 145 – 146).

*****الديمقراطية (Dimocratie):** تتألف كلمة الديمقراطية من مقطعين، حيث المقطع الأول ديموس **(Demos)** أي الشعب، وكراتس **(Cratie)** أي السلطة أو الحكومة، وتعني على ضوء ذلك بأنَّها حكم الشعب لسلطته. وإذا كان للديمقراطية مصطلحات عديدة: حيث الديمقراطية الاجتماعية تتركز حول العدالة وتكافؤ الفرص أمام المواطنين والديمقراطية الشعبية، إلا أن لها مدلولا سياسياً، شاع استعماله في كلّ الأدبيات والفلسفات القديمة والحديثة، وأنّها مذهب سياسي محض تقوم على أساس تمكين الشعب من ممارسة السلطة السياسية في الدولة، إما مباشرة كما في الأنظمة السياسية القديمة، حيث كان بإمكان الشعب أن يجتمع في الساحات العامة لدولة المدينة ليختار من يمارسون السلطة أو بشكل غير مباشر كما هو عليه الآن في أغلبية الأنظمة السياسية التي تأخذ بأسلوب تداول السلطة سلميا وعن طريق الانتخابات المباشرة. (**المرجع نفسه**، ص 319).

لها في الواقع حكما مؤقتاً، إذ ليس ثَمَّ من سبيل للحيلولة دون تحوله إلى نقيضه، وذلك بسبب ما يقوم بين الفضيلة والرذيلة في مثل هذه الأحوال من تشابه"[1].

حسب ما ورد في النَّص فإنَّ أشكال الحكم تتعاقب مرحلة بمرحلة، على النَّحو الذي فُصِّلت، حتى تصل إلى آخر أشكال الحكم ثانية، حيث أنَّ كل شكل من أشكاله يتسم بالمحدودية وسرعان ما ينتقل إلى شكله المناقض ممَّا يستحيل عليه الاستمرار في شكله الأول كما سبق وبيَّناه، وسبب هذا التحول في نظر مكيافيللي راجع إلى تحول الفضائل إلى رذائل وما يحصل من تداخل بينهما.

علماً أنَّ مكيافيللي في معالجته للحكومات، اِتبع نهج بوليبيوس* ماعدا القول بأنَّ الحكومات تمرُّ بأدوار انتقالية، إذ يوضِّح سبب ذلك في قوله: "هذه هي الحلقة التي تمرُّ بها جميع الحكومات، سواء أكانت مستقلة تحكم نفسها بنفسها، أو تابعة لحكم أجنبي. ولكن ينذر بأن تعود نفس الحكومة إلى نفس الشكل من الحكم في المرة الثانية، وذلك لسببٍ واحدٍ، وهو ندرة تمتع الحكومة بتلك الحيوية التي تضمن لها الصمود أمام جميع التقلبات، والبقاء بعدها في حيز الوجود"[2].

من خلال هذا النَّص نجد أنَّ مكيافيللي لا يُقرُّ بأنَّ الحكومات تمرُّ بأدوار انتقالية، وذلك لافتقارها الحيوية اللازمة لمواجهة الأزمات والاضطرابات التي تعترضها، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّها تنتقل إلى شكل آخر من أشكال الحكم لتهدئة الأوضاع واستتباب الأمن العام للدولة.

---

[1] - نيقولا مكيافيللي: **مصدر سابق**، ص218.

*__بولوبيوس Polybius:__ مؤرِّخ وسياسي يوناني، ولد حوالي عام 200ق.م بمدينة ميغالوبولي بأركاديا (اليونان) وتوفي بها عام 120ق.م.

[2] - نيقولا مكيافيلي: **مصدر سابق**، ص ص 220 – 221.

مما سبق نجد أنَّ مكيافيللي يصرح بأنَّ جميع أشكال الحكم الستَّة لا تحوز على الرضا أبداً، وهذا ما دفع بالمشرعين السياسيين، الذين يدركون هشاشة هذه الأنظمة وعيوبها إلى عدم تبنِّي أي شكل منها، والبحث عن نموذج آخر يتميز بالاستمرار والاستقرار.

من خلال كل ما ذكُر يمكننا أن نتساءل:

ما هو نَّموذج الحكم الأكمل والأصلح الذي يطمح إليه مكيافيللي تحديداً؟

يتجلى لنا أنَّ مكيافيللي ميَّال أكثر إلى شكل الحكم المختلط حيث يكتب مصرِّحاً: "وهذا هو السبب الذي يحمل المشرِّعين العاقلين، الذين يعرفون معايبها على الامتناع عن تبنِّي أي من أشكال الحكم هذه، واختيار بديل عنها، يتمثل في شكل من أشكال الحكم يشترك فيه الجميع وذلك لأنَّهم يرون أنَّ هذا الشكل أكثر قوةً وثباتاً، إذ لو وُجد حكم الأمراء والنبلاء والشعب في دولة واحدة، لاحتفظ كل من هذه الفئات لنفسه بحق مراقبة الفئتين الأُخريين"[1].

هذا الطِّراز الفريد من الحكم قد تجسد في مدينة إسبارطة بقيادة "ليكيرجوس"* وقد ذكره مكيافيللي في النَّص التالي: "وكان ليكيرجوس أحد الذين استحقوا الثناء العاطر، على إقامة حكومة من هذا الطِّراز، فلقد عهد في الدستور* الذي سنَّه لمدينة إسبارطة إلى كل الملوك والنبلاء، وجمهرة الشعب، بمهام خاصة بها وهكذا أدخل شكلاً من أشكال الحكم،

[1] - نيقولا مكيافيللي: **المطارحات، مصدر سابق**، ص221.

***للكيرجوس Lycurgus(700ق م-630ق م)**: هو أحد المشرِّعين اليونان القدامى، وبرز اسمه كقائد لحركة إصلاح مشهورة في تاريخ اليونان.

***الدستور(Constitution):** إن دستور الدولة هو مجموعة من القواعد التي تحدد، أو بصورة أدق، تبين الطريقة التي تُمارس السلطة من قِبل القيادة السياسية أو القابضين على السلطة. وهذه القواعد يمكن أن تكون مكتوبة أو عرفية تنظم طريقة ممارسة السلطة والوثيقة الدستورية التي تتضمن هذه القواعد أو المبادئ تبين أو تحدد فلسفة النظام السياسي القائم. وكما للدستور طبيعة قانونية، التي يجب أن تنسجم مع روح نص الدستور، فإن له طبيعة سياسية، حيث أن الدساتير منذ نشأتها أُستخدمت كوسيلة لتكرس سلطة الفرد أو فئة أو حزب سياسي، أو طبقة اجتماعية.

قُدِّر له البقاء أكثر من ثمانمائة عام، ممَّا حقق له الثناء ولمدينته إسبارطة الهدوء والاستقرار"[1].

لأنَّ هذا النَّموذج من الحكم من يتَّسم بفرض الرقابة السياسية على كل الأطراف الحاكمة، الأمر الذي أكسبه القوة والصلابة الضرورية للاستمرار.

الشيء نفسه يمكن أن يُقال عن روما لأنَّها اِتبعت هذا النَّوع من الحكم، يقول مكيافيللي في هذا الصَّدد: "إنَّ روما كانت سعيدة الطالع للغاية، لأنَّ الانتقال من الملكية إلى حكم النبلاء، ومن الأخير إلى الديمقراطية قد جرى في نفس المراحل، ولعين الأسباب التي حددتُها في مستهل هذه المطارحة، دون أن يؤدي انتقال السلطة للنبلاء إلى إلغاء النظام الملكي ودون أن يؤدي إشراك الشعب في الحكم إلى انتزاع السلطة كلية من النبلاء ولقد أدى امتزاج العناصر الثلاثة على النقيض من ذلك، إلى قيام دولة مثالية كاملة"[2].

من وجهة نظر مكيافيللي تُجاه موقع الشعب من السلطة، أنَّ الحاكم الناجح لا يتجاهل رأي العامة في المسائل السياسية كمسألة توزيع المناصب والترقيات، دون المساس بسلطة النبلاء، حيث كان الاحتكاك بين العامة ومجلس الشيوخ العامل الذي حقق للجمهورية مجدها.

" ومكيافيللي قد عبَّد القوة السياسية والنجاح السياسي ويرى أن السياسة يُقاس مدى نجاحها بمدى استخدمها للقوة، فقد رأى مكيافيللي أنَّ السياسة ما هي إلَّا معركة، بل

[1] - نيقولا مكيافيللي: **نفس المصدر**، نفس الصفحة
[2] - نيقولا مكيافيللي: **المطارحات ، مصدر سابق**، ص223.

معركة مستمرة تتمثل في الصراع على القوة، على أساس أنَّ كافة السياسة ما هي إلَّا سياسات قوة"[1].

لقد اعتبر مكيافيللي أنَّ جوهر العلاقات البشرية هو الصراع، ومن ثمَّ فقد ربط القوة بالسياسة على أساسه – يعني الصراع – من أجل الهيمنة ، باعتبار أنَّ القوة هي التي تحقق المآرب السياسية ،وكان للأحداث التي وقعت في عصره من صراع وضعف شتت إيطاليا الأثر البالغ على شخصية مكيافيللي، وبذلك نادي بقوة الحاكم والقوة الحربية من أجل توحيد بلاده إيطاليا.

ثانيا: صفات الحاكم وأهدافه عند مكيافيللي

لقد كان اهتمام مكيافيللي الكبير مُركزاً نحو الأمير، حيث قدَّم له مجموعة من النصائح والعِبر في كيفية الخوض في السياسة بطريقة محكمة تجعله يتربع ويسيطر على السلطة، لكن هذا الأمر لا يتحقق إلَّا إذا قام الأمير بتحديد الهدف المراد الوصول إليه من خلال هذه السياسة.

"ولكن في السياسة، هناك أيضاً مسألة الوسائل، فلا جدوى من السعي إلى هدف سياسي بطرائق مُقضى عليها بالفشل، فإذا اِعتقدنا بأنَّ الغاية خيِّرة، فيجب أن نختار الوسائل الملائمة لتحقيقها، ومسألة الوسائل يمكن تناولها بطريق علمية خالصة بغضِّ النَّظر عن حسن الغايات أو سوئها، فالنجاح يعني تحقيق غرضك، أياً كان ذلك الغرض، فإذا كان ثَمَّ علم للنجاح، فيمكن أن يُدرَّس في نجاحات الأشرار كما يدرَّس في نجاحات الأخيار على حدٍّ سواء"[2].

[1] - حورية توفيق مجاهد: **الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده**، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة – مصر، (ط3)، 1999، ص347.
[2] - برتراند راسل: **مرجع سابق**، ص ص32 – 33.

نجد من خلال النَّص أنَّ مكيافيللي قد وضع للحاكم أهداف سياسية في شكل نصائح من خلال الرعية، حيث يوصي الحاكم على خلق إطار من الاحترام له ولمنصبه وأن يقاوم الجهات أو الأشخاص الذين يحاولون إلحاق الضرر بمؤسسات الحاكم.

" يُنصح الحاكم بألَّا يحافظ على وعوده وألَّا يحفظ عهوده بل يتنصل منها عندما يرى أنَّ مثل هذه المحافظة تِؤدي إلى الإضرار بمصالحه و أنَّ الأسباب التي أعطى في ظِلّها الوعد قد تغيرت ولم تعد قائمة. أي أنَّ المحافظة على الوعود في رأيه رهينة ببقاء الأوضاع على حالها... لكن تجارب عصرنا أثبتت أنَّ الأمراء الذين قاموا بجلائل الأعمال، لم يكونوا كثيري الاهتمام بعهودهم والوفاء بها، وتمكنوا بالمكر والدَّهاء من الضحك على عقول الناس، وتغلبوا على أقرانهم من الذين جعلوا الإخلاص والوفاء رائدهم"[1].

ويجب على الحاكم أن يهتم بتوسيع دولته وزيادة نفوذها وتقويتها داخلياً وخارجياً ولا يراعي أي اعتبارات كانت في سبيل أن يكون أقوى وأكثر نفوذاً، وأنَّه ليس شرطاً عليه أن يفي بعهوده ومواثيقه لأنَّه بالمكر والإدِّعاء والضحك على عقول الناس يمكن تحقيق الأمور العظيمة لصالحه ولصالح دولته، وعليه تجنب كل ما يسيء لسمعته، كما يجب عليه أن يسعى للشهرة بمختلف السبل، وذلك من خلال إقدامه على المشاريع العظيمة كالمغامرات العسكرية أو الإدارة الداخلية في المعاقبة والمكافأة بأفضل طرقها بحيث أن لا يكون محايداً وأن يُظهر نفسه دائما ميَّالاً لذوي الكفاءة والجدارة، أي يجب عليه أن يتَّخذ موقفاً في العطف على إنسان ما والعداء لآخر.

وينصح مكيافيللي الأمير أو الحاكم أن يكون رحيماً ولكن عليه ألَّا يسيء هذه الرحمة، ويضرب مثلا بقيصر بروجيا – الذي أُعتبر مثلا أعلى – والذي وإن كان معتبرا من القُساة غُلاظ القلوب إلَّا أنَّ قسوته جاءت بالنظام والوحدة إلى رومانيا. " ولذا على الأمير أن لا

[1] - حورية توفيق مجاهد: **مرجع سابق**، ص355 – 356.

يكترث بوصمه بتهمة القسوة إذا كان في ذلك ما يؤدي إلى وحدة رعاياه". وقد أكَّد على سلبيات الحكَّام الذين يُفرِّطون في الرحمة والرقة "فيسمحون بنشوب الاضطرابات التي ينجم عنها الكثير من سفك الدماء والنهب والسلب"[1].

بالإضافة إلى ذلك يجب على الحاكم أن يشغل الشعب بالأعياد والمناسبات والعروض المسرحية، وعليه أن يقبل النصيحة دائماً من الآخرين، وعليه أن يكثر من طلبها، وتحصيل العظمة والمجد وأن يحيط نفسه بمجموعة من القوات الخاصة الصادقة والمخلصة، ويبدو أنَّ الوظائف الأهم لهذا الحاكم تتجلى في صفاته إذ أن ما يجب عليه، علاوة على ما يتحلى به شخصياً، بحيث يكون الأسمى له هو تحقيق المجد وهذا الأخير لا يتحقق إلَّا بالقوة في الانتصار لدولته الموحدة من أجل الحفاظ على وجودها ومكانتها[2].

إنَّ هدف الحاكم القوة والأمن في الداخل، فإذا أراد صيانة سلطته وجب عليه عدم التقيد بالفضيلة واستخدام الخير والشر تبعاً للحاجة، أمَّا الذي يريد أن يسير سيرة الفضيلة في كل ظرف فعليه أن يحيا حياة خاصة ولا يعرض للحكم وإلَّا هلك حتماً وسط كثرة الأشرار[3].

كما يدعو مكيافيللي الحاكم إلى الجمع بين القوة والحيلة حيث أنَّهما متكاملتان. ويستلهم أمثلته من عالم الطبيعة موضحاً أنَّ الأسد قوي يمكنه البطش بكل من يجده ويرهب الذئاب ولكنه لا يمكنه أن يفلت من فخاخ الصَّياد، أمَّا الثعلب فهو ماكر ممَّا يمكِّنه عن طريق الحيلة أن ينجو من فخاخ الصَّياد ولكنَّه لا يمكنه أن يدافع عن نفسه أمام الذئاب. وعليه فإنَّ على الحاكم أن يجمع بين قوة الأسد وبطشه وبين حيلة الثعلب ومكره حتى يمكنه مواجهة كافة الموقف.[4]

---

[1] - حورية توفيق مجاهد: **المصدر نفسه**، ص 354.
[2] - علي عبود المحمداوي: **مرجع سابق**، ص 115.
[3] - يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، ط5، 1119م، القاهرة – مصر، ص25.
[4] - حورية توفيق مجاهد: **مصدر سابق**، ص353.

أكَّد مكيافيللي أنَّه يجب على كل حاكم أن يدرك القوانين التي تتحكم في النِّزاع بين أفراد المجتمع، من أجل الحفاظ على التوازن الاجتماعي لذلك يجب على الحاكم عدم التقيد بمبادئ الأخلاق أو الفضيلة بل يجب استخدام الخير والشر حسب ما تتطلبه الحاجة، والحاكم هو الذي يضع القوانين ويغيرها إن اقتضت المصلحة العامة، وإنَّ الدولة الناجحة القوية التي كان ينشدها مكيافيللي هي التي يكون فيها الحاكم متقلباً وفق الظروف والمقتضيات التي يفرضها العمل السياسي، فيكون مثلاً بخيلاً وكريماً. "يتناول مكيافيللي بالتحليل ضرورة أن يجمع الحاكم بين متناقضات الكرم والبخل وإن كان يركز على جدوى البخل عامة خاصة مع المواطنين والرعايا حتى لا تنضب مالية الدولة، مع جدوى الكرم مع المحيطين به حتى يضمن ولاءهم. كما أنَّ السخاء ضروري للأمير الذي يزحف على رأس جيوشه حتى يتبعه جنوده"[1].

وقد اِعتبر مكيافيللي أنَّ من بين المظاهر الأخلاقية للحاكم التي تساهم في استمرار حكمه السياسي هي أن يجمع بين حُبِّ الناس وخوفهم منه وإن تعسر ذلك فعليه أن يتأكد من كونه مخيفاً ومهاباً أي يتصف بالرحمة والقسوة والوحشية وذلك بحسب الحاجة، وعليه التخلص من الأخلاق والتقاليد والبدع والقيم المسيحية وخاصة التواضع والرضوخ . وانطلاقاً من تحليله للنفس البشرية وطبيعتها يرى أنَّ على الحاكم ألَّا يعتمد على حب الأفراد له بل على خوفهم منه وينصح الأمير بأنَّه: "من الواجب أن يخافك الناس و أن يحبوك ولكن لما كان من العسير أن تجمع بين الأمرين فإنَّ من الأفضل أن يخافوك على أن يحبوك...". ولا يتردد الناس في الإساءة إلى ذلك الذي يجعل نفسه محبوباً، بقدر ترددهم في الإساءة إلى من يخافونه[2].

[1] - حورية توفيق مجاهد: **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.
[2] - حورية توفيق مجاهد: **مصدر سابق**، ص 350.

وأخيراً فإنَّ من الجدير بالملاحظة أنَّ مكيافيللي يُوجِّه اهتماماً خاصاً للمحيطين بالحاكم وهو ينصحه بحسن اختيار المحيطين به والاستماع إلى آرائهم ونصائحهم دون الانصياع لها بحيث يكون القرار الأخير قراره وعلى ألَّا يظهرهم على أنَّهم مصدر الحكمة بل يُبقي هذه وكأنها احتكار له ولصيقة بشخصه، كما ينصح الحاكم بألَّا يستعين بالنبلاء وألا يثق بهم حتى لا يُطيحوا به، وألّا يُقرِّب الأفراد إليه بدرجة كبيرة حيث أنَّ أخطر الأفراد على الأسد أقربهم إلى عرينه.

ومن هنا يتضح حسب رأي مكيافيللي أنَّ الحاكم هو أساس تحقيق غاية المجتمع والدولة في الحفاظ على كيان المجتمع، لتحقيق هذه الغاية وإن كان هذا خطر على وحدة المجتمع والدولة كذلك، فما عليه إلَّا أن يستخرج جميع الوسائل من قيمٍ ونظمٍ، ودينٍ وأخلاقٍ، لأنَّ العلاقة بين الدولة والحاكم هي بمثابة عقد اجتماعي[1].

وخلاصة الأمر فإنَّ مكيافيللي في مجمل نصائحه يقدِّس القوة، وهو يركِّز على القوة المادية، ونلاحظ أنَّ اهتمامه هذا ليس خاصاً بالإمارات وحدها ولكن أيضاً بالجمهوريات، فالقوة فالحكم ضرورية.

[1] - إسماعيل زروخي: **دراسات في الفلسفة السياسية**، دار الجر للنشر والتوزيع، ط1، 2001م، القاهرة – مصر، ص ص 186 – 187.

المبحث الثالث: فصل السياسة عن الأخلاق عند مكيافيللي

إنَّ من بين الأمور التي كان لها الأثر البليغ على أفكار مكيافيللي: الوضع السياسي والاجتماعي الفاسد والمتردي في إيطاليا، فالتَّشتت والانقسام في المجتمع الإيطالي إلى دويلات صغيرة متناحرة، دفع بمكيافيللي البحث عن المسؤول عن هذا الوضع، فوجد البابا والكنيسة المسيحية هما المسؤولان عن تعاسة المجتمع الإيطالي، وهذا ما جعله يهتم بالجانب السياسي اهتماماً كبيراً، حيث حاول تطبيق هذا المجال على الميادين المختلفة التي تُعدُّ من أبرز القضايا المعتمدة في السياسة وكان للأخلاق جزء من الدراسة في هذه الأخيرة، فجاء مكيافيللي ليوضِّح هذه العلاقة بينهما.

يرى مكيافيللي في نظريته السياسية: "السلطة السياسية غاية في حدِّ ذاتها، وتحاول كشف الوسائل التي تمكِّن رجل السياسة إحراز السلطة السياسية والحفاظ عليها والاستفادة منها، فبذالك يُفرِّق السلطة عن السنن الخلقية والقواعد الأدبية والدعائم الدينية، ويجعل من الدولة نظاماً ينفصل بخصائصه وقيمه عن أصول الحكم ومبادئه، فيقيم بذلك فكرة "مبرر الدولة"، وأنَّه لا مناص للسياسي من أن يسلك الطريق الذي يهيئ الاستحواذ على السلطة والحفاظ عليها والاستفادة منها، فيجعل المبدأ القائل: "الغاية تبرر الوسيلة"هي السائدة"[1]، وبذلك تصبح وسائل السياسي للاستلاء على الدولة والحفاظ على السلطة حقاً شرعياً، ووسيلة شريفة يمجدها الإنسان.

فمكيافيللي يرى أنَّ الكنيسة هي المعوِّق الأول لعدم قيام الدولة الإيطالية وهي السبب الرئيسي في تدهور الروح الدينية، وفي رأيه أنَّ دور الكنيسة في هذا التدهور يعود إلى واقعها الفعلي من جهة وتأثيرها السلبي في الدين من جهة أخرى، فهي من حيث واقعها الفعلي لم تكن تصلح لضمان حصانة الروح الدينية من التدهور، وهي من حيث تأثيرها السلبي قد

[1] -داود نبيلة: **الموسوعة السياسية المعاصرة** (المدارس السياسية- مصطلحات – منظمات وهيئات قضايا ق 20 شرح للمصطلحات والمنظمات والقضايا والمناهج السياسية)، مكتب غريب، د (ط س)، ص ص 2 – 3.

أفسدت الديانة المسيحية حين أفقدت الإنسان إيمانه بها والثقة فيها. وقد وجد مكيافيللي أنَّ من شأن ذلك الإضرار بمشروع إقامة الدولة الوضعية بصورة عامة ودولة إيطاليا الموحدة بصفة خاصة[1].

ونظراً لهذه الأسباب فقد فصل مكيافيللي الأخلاق عن السياسة، وشعر بأنَّه فساد السياسة وتدهور العمل السياسي إنَّما يرجع بالدرجة الأولى إلى تدخل الأخلاق ومعاييرها المفروضة، وإلى الضغط المستمر الذي تمارسه الكنيسة ورجال الدين على مجريات الأمور السياسية، ويرى أنَّ النَّسق السياسي لا بدَّ وأن يقوم على حقيقتين التاليتين:

- **الحقيقة الأولى** استمدها من الفكر السياسي الإغريقي وهي تقرِّر أنَّ الدولة أسمى صورة من صور التجمعات الإنسانية وثَمَّ تعلو على أي فرد وعلى أي مجتمع ما دامت قادرة على تحقيق الرفاهية وحمايتهم.
- **الحقيقة الثانية** تقرِّر أنَّ اهتمام الذات بشيء آخر خصوصاً المادي منها، هو العامل الرئيسي في البواعث السياسية، وبالتالي فإنَّ مهنة السياسة فنٌّ يخضع لحساب دقيق للاهتمامات الإنسانية في أيِّ صوب، وهو يرتكز على الاستعمال الذكي لأمهر الوسائل في مقابلة الصعاب التي قد تعوق الاهتمامات.

ويؤكد مكيافيللي على ضرورة تطبيق هاتين الحقيقتين والاهتمام بالأخلاق، ويقول دانتج في هذا الصَّدد: "لقد فصل مكيافيللي علم السياسة عن علم الأخلاق...فلم يؤمن بأنَّ السياسة تُشكَّل من مذهب أخلاقي ولا تصبُّ ذاتها في دائرة القيم الأخلاقية، بل رأى

[1] - عبد الرضا حسن الطعان: **مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر**، دار السنهوري، ط1، 2018م، بيروت – لبنان، ص32.

العكس من ذلك أنَّ الأخلاق تتشكل طبقاً للسياسة، وكذلك فصل بين السياسة كعلم وبين الدين وبذلك يُبعد مكيافيللي عن دائرة السياسة كل نفوذ لاهوتي أو كنسي"[1].

وقد ألَّف مكيافيللي في هذا الصَّدد أهم كتاب له "**الأمير Le prince**" وخلاصته هي طلاق تام لا رجعة فيه بين الأخلاق والسياسة، بعد أن كان أرسطو قد عقد زواجاً بينهما، ولا زال الطلاق قائماً بين السياسة والأخلاق بفضل مكيافيللي، ولمَّا كان التاريخ تأريخ للأفراد يتبع السياسة كظلِّها فقد انعكس ذلك على اتجاه خطير في التاريخ لا يتَّخذ موقف الحياد الأخلاقي فحسب بل يتبنى موقفاً لاأخلاقياً، إذ يحمل كل عمل لاأخلاقي ما دامت الغاية تبرر الوسيلة"[2].

ويتعرض مكيافيللي في هذا الكتاب إلى أخلاق الأمير ويوضِّح لنا مختلف الوسائل التي تؤدي إلى قوة الدولة والسياسة الناجحة، التي تحقِّق بها الدولة مختلف مآربها ومساعيها التي تسعى إليها، ويرى في هذا الكتاب أنَّ الأمير هو الدولة، فلكي تنجح الدولة فلا بدَّ للحاكم أن يتصف بصفات معينة، فلماذا اختار مكيافيللي الأمير بالذات ولم يختر الشعب؟

يرى بأنَّ السياسة تأخذ شكل الهرم كونه يعطي الأولوية للأمير الذي يمثل رأس الهرم، وهو يمثل السلطة وهو الفاعل، أمَّا الشعب فيمثل القاعدة وهو المنفعل، وهنا يقِّر مكيافيللي بنوعين من الأخلاق يسنُّها على الحاكم وعلى الشعب ويقول بضرورة إتباعها فيرى في الحاكم على أن يأخذ جميع الطرق والوسائل التي تؤدي به إلى التطور والرقي.

---

[1] - محمد علي عبد المعطي/ محمد علي محمد: **السياسة بين النظرية والتطبيق**، تق: محمد علي أبو ريان، دار الجامعات المصرية، (د ط)، 1996م، ص ص126 – 127.

[2] - صبحي أحمد محمود: **في فلسفة التاريخ**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، (د ط)،1994م، ص ص 96 – 97.

في هذا الصَّدد يقول مكيافيللي عن الأمير: "وهكذا فمن الخير أن تتظاهر بالرحمة وحفظ الوعد والشعور الإنساني النبيل والإخلاص والتدين، و أن يكون فعلاً متصفاً به ولكن عليك أن توعد نفسك عندما تقتضي الضرورة لتكون منصفاً بعكسها"[1].

إذن فالحاكم عند مكيافيللي يسنُّ أخلاقه الخاصة بنفسه، ويُكفِّر الأخلاق العامة، فليس من الضروري أن يكون الأمير حاصلاً على كل الصفات الحميدة بل يكفيه التظاهر بها فقط، فالغاية من هذا عند مكيافيللي أنَّ السياسة ليست في الفضيلة وإنَّما في السلطة والتسلط والهيبة والقوة ودوام الحكم للأمير لذلك فصل السياسة عن الأخلاق وألزم بهذه الأخيرة الشعب فقط، فيرى بأنَّ أخلاق الشعب هي أخلاق الضعف والخضوع والخوف، حتى يتمكن الأمير من ممارسة سلطته بحرية.

"ويؤكد مكيافيللي في كتابه "الأمير" أنَّ هناك أسلوبين للقتال:

- **الأسلوب الأول:** عن طريق الشرع (القانون)، وهو يصلح للتعامل مع البشر.
- **الأسلوب الثاني:** عن طريق العنف(القوة)، وهي أسلوب للتعامل بين الحيوانات.

ولكن الإنسان عادة ما يلجأ للأسلوب الثاني حيث الأول غير كافٍ.

وعلى الحاكم أن يعرف كيف يستعمل الأسلوبين معاً: القانون والقوة، أي طريقة الإنسان، وطريقة الحيوان. أي عليه أن يتعلم الطبيعة الإنسانية والحيوانية وأنَّ إحداهما لا تعيش بدون الأخرى"[2].

لهذا يؤكِّد مكيافيللي على أنَّ الدولة القائمة على القوانين الأخلاقية لا تلبث حتى تنهار، وما تفعله الدولة ليس له صلة بالأخلاق، ولا يهمُّها هذا الأمر، ففي مجال

[1] - سعد فاروق: **تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة، ط19، 2021م، المملكة المغربية ، (د س)، ص 150.
[2] - حورية توفيق مجاهد: **مصدر سابق**، ص350.

السياسة وشؤون الحكم لا يعرف إلَّا معياراً واحداً والمتمثل في النتائج التي يحققها الفعل، فإن كانت تلك النتائج ناجحة ومفيدة كان الفعل صائباً، وإن لم تكن كذلك كان الفعل خاطئاً، وبالتالي يمكننا الحكم في الأخير على النظرية السياسية المكيافيللية بأنَّها كانت مستمدة من تجربته القاسية التي عاشها في تلك المرحلة، ولمشاهدته تلك الوقائع السياسية الممزَّقة في إيطاليا، لذلك يبرر فكرته "الغاية تبرر الوسيلة" والتي تُترجم لنا أنَّ منطق الدولة يستلزم المحافظة عليها بشتى الأثمان.

إذن فالغاية العليا من السياسة في نظره هي تحقيق الأمن والرفاهية بأيِّ وسيلة، وليست الغاية الأخلاقية التي تصورها المفكرون السياسيون السالفين، فالحكم على السياسة ينبغي الأخذ بعين الاعتبار النتائج الاجتماعية والسياسية بغضِّ النَّظر عن النتائج الأخلاقية، وهذا لا يعني أنَّ مكيافيللي كان من دعاة اللاأخلاقية في السياسة، وإنَّما يجد أنَّ الخير المشترك في تحقيق المصالح العامة يفرض استخدام الوسائل اللاأخلاقية، فالعبرة عنده في النجاح وحده"[1].

وقد ربط مكيافيللي النَّجاح في السياسة بضرورة فصلها عن الأخلاق، على أساس أنَّ الأولى تملك نظام قيم خاص بها عن نظام قيم الأخلاق، ولا يفترض أي تطابق بينهما وحقيقة هذا الاختلاف هو الذي يسمح للحاكم في نظر مكيافيللي بإقرار أولوية السياسة على الأخلاق في اختياراته السياسية.

"من خلال هذا التمييز بين الأخلاق والسياسة وجه مكيافيللي نقداً للفكر السياسي التقليدي الذي كان يمزج بينهما ويؤكد ضرورة خضوع السياسة للأخلاق، وفتح المجال للعديد من فلاسفة العصر الحديث لإرساء أسس نظريات في السياسة تقترح نفسها

[1] - بدوي عبد الرحمان: **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، 1984، بيروت – لبنان، ص ص 464 – 465.

كنظريات مناهضة لما اقترحته الفلسفة السياسية التقليدية و على وجه الخصوص فلسفة **أرسطو** السياسية التي جعلت السياسة خادمة للأخلاق"[1].

يمكن القول أنَّ فكر مكيافيللي السياسي يحتوي على إرهاصات عهد جديد أعلن أنَّ عصر البحث في ماهية الدولة والمدينة الفاضلة قد انقضى، وترك مكانه لعصر البحث في التقنيات والطرق الناجحة للحفاظ على الدولة وتقويتها. أي عصر تغليب الممارسة على النظر والتخمين، والسياسة على الأخلاق. بعبارة أخرى أعلن ضرورة مغادرة عصر البحث فيما يجب أن يكون للدخول في عصر البحث فيما هو كائن، وهذه هي الواقعية التي أسس لها مكيافيللي في كتابه الأمير.

[1] - علي قايدي: **مرجع سابق**، ص247.

الفصل الثالث: قراءة في الفكر السياسي المكيافيللي

المبحث الأول: المكيافيللية والفكر السياسي الحديث

المبحث الثاني: تأثير المكيافيللية على الفكر السياسي المعاصر

المبحث الثالث: نقد الفكر السياسي المكيافيللي

المبحث الأول: المكيافيللية والفكر السياسي الحديث

أولا: النظرية السياسية عند توماس هوبز

إنَّ فكر هوبز السياسي هو رؤية جديدة مغايرة لطبيعة المجتمع والدولة، ولم تعد معتمدة على الدِّين والقيم الأخلاقية، فهوبز يرى أنَّ المجتمع هو صاحب الشرعية وليست القوة الذاتية كما كان مع مكيافيللي، بل السيادة التي يمنحها للمجتمع ويخلعها عن الحاكم، ولم يكن هدفه هو النظر في أحوال السلطة والحكم في انجلترا وفرنسا بل دراسة أفضل السبل في بناء الدولة على أساس فلسفي متين لتحقيق استقرار سياسي على أسسٍ محكمة رغم أنَّ هوبز له اقتناع أنَّه وجد الحل النهائي لمسألة الدولة على أساس تجاوز أحوال العصر إذ يصرِّح: "بأنَّ كتاب تيوسيددس* قد نبَّهه إلى الأخطار التي يمكن أن تُعرض الديمقراطية والدولة والمجتمع لها"[1]. ويقصد بالأخطار أهوال الحروب البلوبونيزية** بين المدن اليونانية.

يَفترض هوبز وجود حالة طبيعية يسودها العنف والقسوة والحرب والخوف والاضطراب في محاولة منه إلى وصف حالة المجتمع وهي في ذات الوقت حالة وحشية تجعل الإنسان في حرب دائمة مع الآخر مما استدعى قيام العقد الاجتماعي بُغية بلورة المجتمع المدني وهنا

---

*ثيوسيددس أوثيوقديدس(460ق م-395ق م): مؤرخ إغريقي شهير، صاحب كتاب "تاريخ الحرب البيلوبونيزية"، ويُعدُّ أوَّل المؤرخين الإغريق الَّذين أعطوا للعوامل الاقتصادي والاجتماعية أهمية خاصة.

[1] - توماس هوبز: **اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة**، تر: ديانا حرب وبشرى صعب، مر: رضوان السيد، ط1، 2011م، أبو ظبي، ص12.

**الحرب البيلوبونيزية الأولى(460ق م-445ق م): حرب نشبت بين الاتحاد البيلوبونيزي بقيادة إسبارطة وحلفائها، من أبرزهم ثيفا، والحلف الديلي بقيادة أثينا وبدعمٍ من آرغوس. تألَّفت هذه الحرب من سلسلة من الصِّراعات والحروب الصغيرة، مثل الحرب المقدسة الثانية.

يتحول الإنسان من الكينونة الطبيعية إلى السياسية، ليدخل إلى مجال الدولة ويلتزم بالأوضاع القانونية داخلها. ومن هنا أصبح عقد هوبز " ينقل السيادة من الشعب إلى الحاكم وبالتالي يحصل التعاقد داخل طرف واحد وهو الشعب ولا يدخل الحاكم في العقد وهذا الأمر يُثير إشكالاً كبيراً وهو أنَّ الحكم سيكون تنازلياً عِوض أن يكون تعاقديا"[1]، معتمداً على اللغة كأهمية كبيرة للتواصل والتفاهم ويؤكد قائلا: "لولا اللغة لما كان بين الناس لا دولة ولا مجتمع ولا عقد ولا سِلْم كما لا يمكن أن يكون ذلك بين الأسود والدببة والذئاب"[2]. فالمجتمع السياسي حسب هوبز ليس واقعة طبيعية إنَّه بالنسبة إليه الثمرة الاصطناعية لميثاقٍ إرادي ولحساب مصلحي. لقد أراد هوبز عقدا يُوجِد الرغبة والسلم، وهو من الاهتمامات التي وجَّه إليها محور اهتمامه، فالدولة في نظره هي مجموعة المصالح الخاصة ودورها يتمثل في الدفاع عن المواطن وحمايته، مع ضرورة أن يتنازل عن حقوقه للدولة، فغاية وجود الدولة توفير الأمن وأيُّ سلطة روحية لا يمكنها معارضة الدولة والملك ليس فقط أداة الدولة بل الكنيسة أيضاً، إنَّه يُمسك باليد اليمنى السيف وباليد اليسرى عصا الأسقفية، ومن هنا تظهر الدولة ووحدتها ولا مكان للأحزاب أو التكتلات، وقد انتقد فكرة فصل السلطات ودعم بشدة فكرة السيادة المطلقة وليس للملك أي قيد خارجي يحدُّ من سلطته. إنّ محاولة هوبز تحرير الإنسان من الخوف والأوهام كان من أجل محاربة حالة الفوضى التي كانت عليها الحياة الطبيعية، بخلاف المجتمع المدني الذي يضمن الحقوق على أساس القانون الطبيعي الذي

[1] - علي عبود المحمداوي: **الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات**، دار الروافد الثقافية للنشر،ط1، 2012م، السانية (وهران) – الجزائر، ص262.
[2] - جاك توشار: **مرجع سابق**، ص 260.

يدافع عن الذات بجميع الوسائل بُغيةَ تحقيق السلم والأمن على أساس التعاقد الجماعي، والدولة تظهر كشخص واحد بشرط أن يتمَّ برضا جميع الأفراد، "ومضمون العقد الذي يقصده هوبز هو ذلك الاتفاق الذي ينسج بين الأفراد والذين قرروا أن يكون لهم ملك أي سلطة مركزية والتزموا بالتخلي عن جزء من حرياتهم لهذه السلطة أو هذا الحاكم"[1]،

ومن هنا فالحاكم فوق العقد والقوانين لأنَّه ليس طرفاً في العقد ويتمثل دوره في خدمة العامة ونشر العدالة داخل الدولة، والسلطة التي وُضعت في يد هذا الحاكم لا يستطيع أحد نزعها وحتى الأفراد المتعاقدين لا يستطيعون إلغاء هذا العقد، فالتخلي عن العقد يؤدي إلى نشوب الحرب الأهلية لتعود الفوضى من جديد وبذلك العودة إلى الحياة البدائية، وانطلاقاً من الصفات التي يتصف بها البشر منها حُب الذَّات والأنانية إلى جانب حفظ العهود.

فالدولة تقوم على تعهد الجميع ليكون التفويض للحاكم في النهاية، وهذا هو التشكيل الهندسي للدولة حسب هوبز وِفق ثلاثة قواعد: يأتي الحاكم نتيجة اتفاقية، وهو ليس طرفاً في العقد، وأخيراً فالأفراد كانوا مجتمعين أو منفردين مسؤولون عن جميع أعماله، لذلك توجد وسيلتان لبلوغ السلطة المطلقة، فالوسيلة الأولى تُعرف بالقوة الطبيعية، أمَّا الثانية، فتُعرف بِاتفاق البشر فيما بينهم خضوعاً لشخص واحد.

عندما أخضع مكيافيللي الإيمان لمصالح الأمير فقد أراد من وراء ذلك إحداث قطيعة مع العصور الوسطى ليتبعه هوبز معلناً عن فاعلية قوة السلطة التي يتمتع بها صاحب السيادة،

[1] - نورالدين حاروش:**مرجع سابق**، ص297.

ولقد افترض هوبز وجوب الطاعة والحاجة إليها على الدوام، ليتمكن الحاكم من الحفاظ على النظام ولكن السلطة المطلقة قد تتمتع بها مجموعة ولها وجوب الطاعة من قِبل الجميع ، حيث منحهم الشعب وسائل القوة طالما أنهم يلجؤون إليه في حاجتهم وتلبية رغباتهم.

من هنا تكون فلسفة هوبز مهتمة بالتعاقد الاجتماعي حيث لا يكون تصور مجتمع وسياسة دون ذلك وهو في ذات الوقت لا ينفي دور العقل بل ينطلق من فكرة التساوي المطلق بين البشر على أن يكون الأضعف يستطيع بالحيلة القضاء على القوي وفي الذكاء الذي يكون فيه البعض أكثر حكمة، فمفهومها يقترب من فلسفة مكيافيللي كامتداد لفلسفته عند هوبز.

ثانيا: من سيادة الحاكم إلى سيادة الشعب عند جون لوك

اِتَّسم فكر جون لوك بروح الفردية كما كان لدى هوبز من قبل حيث يرى أنَّ المجتمع لم ينشأ إلَّا لحماية الحقوق الطبيعية للفرد والمصالح الشخصية التي بررت وجود المجتمع، ويَعتبر لوك أنَّ القانون هو الذي يجسد مصلحة الفرد كما تكون الحريات الشخصية محمية إلى جانب حقوق الملكية الشخصية، ويختلف لوك مع هوبز في أنَّ الحاكم يكون طرفاً في العقد المبرم.

يبني لوك فلسفته السياسية على فكرة فصل السلطات، بمعنى السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية يجب ألَّا يجتمعا في نفس الأيدي، فالسلطة التنفيذية الروح التي تعطي الشكل

والحياة والوحدة للدولة، والسلطة التشريعية محدَّدة بالحقوق الطبيعية وهي سلطة الحرية وهذه الحرية من أجل السعادة وعلى هذا الأساس فكل سلطة لكي تكون سياسية يجب أن تكون أولاً عادلة"[1]، ومن هذه النقطة تتضح الفكرة لدى لوك إذ لو تخلت السلطة عن الحقوق الطبيعية وخاصة الحرية والملكية، فإنّه يحق للأفراد الثورة كحق يُبيح حسبه تأمين الحقوق الشرعية مع ضرورة التعقل. لقد كان القصد لدى لوك من تعاقد الأفراد تحقيق جملة من الأهداف، فالمحافظة على أملاك الناس وعدم السماح لأيّ هيئة أو فرد أن يعتدي على الآخرين، والضامن الوحيد هو منح ثقة محدودة للحاكم لمنع الطغيان، ووضع الثقة الكاملة في البرلمان وإسناد قضايا العدالة إلى المحلفين والقضاة ويكون فصل تام بين هذه الهيئات، فكل هيئة تعمل في مجالها واختصاصها، وإذا كان هوبز قد أوجد أسلوب العقد بصورة عقلانية ليفسِّر نشوء الدولة والحكم المطلق فيها، ومن ثَمَّ خالف لوك هذه النظرية ومفهوم العقد عنده يكون بالتراضي، " فالعقد هو نوع من الاشتراط والتكليف من الشعب ومن المجتمع إلى الحاكم ما دام أنَّه طرفاً أساسيا في العقد وعليه أن يتحمل مسؤولية ذلك التكليف وعليه يجب محاسبة من أخلَّ بذالك العقد الذي أبرمه الشعب معه"[2].

إنَّ فلسفة لوك السياسية تتجه صوب تصور تأسيس الدولة على أساس العقد ويرى أنَّ الأفراد على قدر من المسؤولية والحرية ويخضعون لسلطة العقل والطبيعة بخلاف الحرب والعنف التي كانت مع هوبز، وقد رفض لوك الحكم المطلق وتبريره فيقول: " إنَّ الملكية

[1] - نورالدين حاروش: **المرجع نفسه**، ص03.
[2] - علي عبود المحمداوي: **مرجع سابق**، ص29.

المطلقة التي يزعم بعضهم أنَّها نمط الحكم الوحيد لا تتفق مع طبيعة المجتمع المدني لأنَّ هدف المجتمع المدني تلاقي تلك المساوئ التي تنجم ضرورة عن كون كل امرئ في الطور الطبيعي للحكم في القضايا التي تعنيه هو ومعالجته بإقامة سلطة معروفة بوسع كل فرد من أفراد ذلك المجتمع أن يلوذ بها...وحيث لا يوجد قوم لا سلطة بينهم من هذا النوع الذي يحتكمون إليها في النزاع بينهم، فهؤلاء القوم ما يزالون في الطور الطبيعي"[1] وبالعودة إلى الحالة الطبيعية ينحُ لوك منحى يؤيد فيه واقعية هذا الطور الطبيعي ويرى في ذلك منبعاً طبيعياً تستمد منه القوانين وهو ملاذ الإنسان في النهاية ويعزو لوك تأليف المجتمعات إلى مشيئة الله التي فطرت وطبعتهم على حب الألفة، والاجتماع فانبثق المجتمع المنزلي ثم المجتمع المدني أو السياسي.

ومن هنا يتبيَّن أنَّ الحالة الطبيعية التي يصفها جون لوك يسودها السلام والمعونة المتبادلة وتكون الحقوق الطبيعية ملك لكل إنسان، ليؤكد على وجوب أن يكون المجتمع المدني مستمداً من رضا أفراده، وتكون السلطة المدنية ذات أحقية في صنع القوانين وحتى العقوبات واستخدام قوة الجماعة في تنفيذ القوانين ومعاقبة كل من لا يمتثل لها في سبيل الخير العام ولا يمكن لهذه السلطة أن تنشأ إلَّا بالرضا بين الحاكم والمحكوم عكس ما جاء به هوبز.

[1] - علي عبود الحماوي، **المرجع نفسه**، ص30.

ثالثا: نظرية السيادة الشعبية عند جان جاك روسو

يؤسس روسو لفكرة العقد الاجتماعي دون تنازل عن السيادة ولا تقسيمها، إذ تشكل الإرادة العامة روح الشعب ومصلحته العليا وهي في ذات الوقت حاملة السيادة، وقبل وجود الإنسان داخل دولة كان يعيش في حالة فطرية وجميع الأفراد فيها متساوون هذا بالإضافة إلى أنَّ تصرفاتهم لم تكن معتمدة عل العقل ولكن إلى المشاعر الفطرية وجميع الأفراد فيها متساوين هذا بالإضافة إلى أنَّ تصرفاتهم لم تكن معتمدة على العقل ولكن إلى المشاعر الفطرية، فظهور الشر والسلوك اللاأخلاقي ما هي إلَّا سمات نحو المدينة وارتقاء الحضارة لتظهر العلاقات الاجتماعية في حال من التأزم ما أدى إلى بروز فكرة التملك والمنافسة والتفوق والغنى والفقر واشتد الصراع وغاب التفاهم وإرساء أسس الدولة وفق عقد بمقتضاه يستتِب السلم والاستقرار.

لذلك يرى روسو أنَّ القضاء على تلك السمات هو إعادة بناء المجتمع المدني سياسياً على قواعد سلمية، ففي العقد الاجتماعي يتنازل الأفراد عن جميع حقوقهم لصالح الجماعة وينشأ التعاقد الاجتماعي عندما يضع كل فرد إرادته الخاصة تحت إرادة أعلى منه، وهذا ما يسميه روسو بالإرادة العامة.

إنَّ نظرية العقد الاجتماعي عند روسو تدور حول السلطة والنظام السياسي الذي ينشأ عن تعاقد الناس واتفاقهم، وكل فردٍ يتنازل إرادياً عن حقوقه للإرادة العامة وكل الأفراد يصبحون متساويين بمعنى تنازل جماعي وليس فردياً أي إرادة الكل الناتج عن العقد[1].

إنَّ العقد الاجتماعي عند روسو قد أدى إلى تكوين الدولة وقيام سلطة جماعية لتكوين دولة تكفل الحرية وتُصان فيها الحقوق ويعمُّ الأمن والاستقرار، والدولة الشرعية عند روسو هي التي تحكم بالقانون الذي يعبِّر عن الإرادة العامة، والحكومة في نظره هيئة تنفذ القوانين التي تسنُّها الدول وتبقى السيادة للشعب وهذا ما يخالف فكرة توماس هوبز الذي اِعتبر أنَّ الملك هو صاحب السيادة المطلقة ويرى روسو كذلك أنَّه لا بدَّ من وجود القانون ذو الفعالية وكتب يقول: "يجب إذن أن توجد قوانين وعهود تربط بين الحقوق والواجبات وتشدُّ العقل إلى غايته"[2]، معنى ذلك أن يضمن القانون الوضعي تطبيق مبادئ القانون الطبيعي، كما يفرّق روسو بين السيادة والحكومة فالسيادة مصدرها الشعب الذي اِختار الحكومة لخدمته وخدمة مصالحة في شكل رئيس يختار الشعب وإذا فقد الثقة به تتمُّ تنحيته.

ذهب روسو في العقد الاجتماعي إلى أنَّ الحكومة لن تكون ناجحة إلَّا إذا كانت السيادة في يد الشعب، بمعنى كل قانون لابدَّ أن يُجيز التصويت المباشر لجميع المواطنين، يقول برتراند راسل:" إنَّ نظرية روسو السياسية مبسوطة في كتاب العقد الاجتماعي الذي يختلف

[1] - نورالدين حاروش: **المرجع نفسه**، ص329.
[2] - قربان ملحم : **قضايا الفكر السياسي - القانون الطبيعي**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت – لبنان، ص58.

تماماً من حيث الطابع عن معظم كتاباته، وأنّ نظرياته تخدم الديمقراطية من طرف اللسان تميل إلى تبرير الدولة المستبدة"[1]. فكان روسو مناشداً لدولة المدينة بعيداً عن الإمبراطوريات كفرنسا وانجلترا وبالتالي فهو مائل في فكر العقد الاجتماعي للفيلسوف الانجليزي جون لوك ولكنَّه سرعان ما ارتبط بالفكر السياسي عند توماس هوبز، وذلك في اِنضواء الجماعة في وحدة متكاملة ليكون كل فرد محمياً من طرف المجموع وهنا ينبغي أن نشير إلى أنَّ الحاكم عند روسو لا يعني الملك أو الحكومة بل الجماعة في قدرتها الجماعية والتشريعية.

ممَّا تقدم يمكن القول أنَّ الاجتماع أضحى أمراً ضرورياً ومن المستحيل فضُّه بالعودة إلى حالة الطبيعة، وكتب روسو قائلاً: "إنَّ دور الحاكم محدود بوضع لقوانين والسلطة التنفيذية أو الحكومة هي هيئة وسيطة تقع بين المواطنين والحاكم لتضمن اتصالها المتبادل وإذا رغب الحاكم في الحكم أو المُشرِّعْ في وضع القوانين أو إذا رفض المواطنون الطاعة لحلَّت الفوضى محلَّ النِّظام ، ولسقطت الدولة في هوَّة الاستبداد أو الفوضوية".

إنَّ روسو في نظريته السياسية أكد على أنَّ الإنسان قد انتقل من المجتمع الطبيعي إلى المدني، وجاء هذا التحول نتيجة تطور تاريخي رغم الانتقادات التي وُجهت له نجد أنّهُ قدَّم خدمة قلَّما نعثر عليها في تاريخ الفكر الإنساني بإحداثه ثورة كبرى في المجال السياسي، فكان تركيزه منصبًّا على الإنسان والذي أضحى منذ روسو المحور الجوهري في التفكير الإنساني.

[1] - برتراند راسل: **مرجع سابق**، ص301.

ويبقى تفكير روسو السياسي أقرب إلى فكر مكيافيللي الذي يبقى المواطن في نظره مدافعاً دون توقف عن مصالحه واهتماماته وفي سبيل سعادته، ومن هنا استطاع روسو فهم ووعي تقنيات السياسة التي قام مكيافيللي بتحليلها وتأسيسها وما يزيد روسو قرباً منه هو تأكيده على الحرية التي توجد بين الأفراد"[1].

ومن هنا نستخلص أنَّ روسو قد تأثَّر كثيراً بمكيافيللي وما يوضِّح ذلك هو إعادة قراءة كتبه في فرنسا بعد منعها في سنوات سابقة حيث قام الكثير بترجمة كتاب الأمير سنة 1791م، وإعادة ترجمته سنة 1799م، لتلي ترجمة أخرى جديدة سنة1799م.

ما يجب الإشارة إليه نهاية الحديث عن فلاسفة الفلسفة الحديثة: توماس هوبز، جون لوك، وجان جاك روسو، هو تأثرهم بالفلسفة المكيافيللية في بناء نظرية العقد الاجتماعي رغم الاختلافات التي لاحظناها في فكر كل فيلسوف ويبدو أنَّ المكيافيللية ظلَّت حاضرة في الفكر السياسي الحديث رغم ما لقيَتْهُ من نقدٍ واعتراضات على أفكارها الفلسفية التي وصفها البعض خاصة بعد عصر النهضة بأنَّها لا إنسانية، بل ساهمت في بناء النظريات السياسية الحديثة وهذا ما يؤكده راسل قائلا: "إنَّ عصر النهضة لن يُنجب أيَّ فيلسوف صاحب نظرية فقد قدّم لنا رجلاً ذا مقام عالٍ في الفلسفة السياسية أعني به نيكولا مكيافيلي"[2].

[1] - Nucola Machiavelli: **Le prince**, Texte Édition ,Le 1980, France, P70.

[2] - اللحية الحسن: **الردّ على مكيافيلي**، إفريقيا الشرق، 1999م، بيروت – لبنان، ص07.

المبحث الثاني: تأثير المكيافيللية في الفكر السياسي المعاصر

بعد التَّطرق إلى المكيافيللية في الفلسفة الحديثة وما لاحظناه من تأثير كبير في الفكر الفلسفي الحديث ننتقل إلى الفلسفة المعاصرة التي عرفت هي كذلك اهتماماً واسعاً بمكيافيللي ففي سنة 1550م خضعت مؤلفاته للترجمة واحتلَّ كتاب "الأمير" النصيب الأكبر منها.

أولا: أنطونيو غرامشي والمكيافيللية

بدأ غرامشي كتابة دفاتر السجن سنة 1929م ليشغل نفسه ببعض الموضوعات وسمحت له إدارة السجن بالكتابة وباقتناء الكتب وكتب قائلا: "لقد قررتُ أن أشغل نفسي بصورة شاملة بهذه الموضوعات الثلاثة وهي التاريخ الإيطالي في القرن التاسع عشر، وثانياً نظرية التاريخ وعلم التاريخ وثالثاً النَّزعة الأمريكية والنَّزعة الفردية"[1]. ومن هنا انطلق غرامشي إلى دراسة مكيافيللي بالدرس والتحليل ويرى في كتاب الأمير أنَّ هناك إيديولوجية سياسية، تتأسس داخل الأمير في شكل دراماتيكي تجسيداً لمذهب عقلاني مشخَّص في قائد مرتزق يرمز للإرادة الجماعية وفي ذات الوقت دعوة للمِّ شمل المجتمع الإيطالي المُمَزَّق لذلك يرى غرامشي "أنَّ الأمير لا يوجد وجوداً حقيقياً في الواقع التاريخي إنَّه تجريد مذهبي خالص لرئيس مرتزق مثالي"[2]. وفي الملاحظات التي يقدمها غرامشي حول مكيافيللي، نجد تحليلاً حاداً للصِّراع الطبقي الذي تطور في إيطاليا من خلال عهدة الفاشية في السلطة، ويوضِّح

[1] - أنطونيو بوزوليني: **أنطونيو غرامشي حياته وفكره**، تر: سمير كرم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1977م، بيروت – لبنان، ص61.
[2] - اللحية الحسن: **مرجع سابق**، ص20.

غرامشي أنَّ الطبقة العاملة تملك طرقا خاصة في الصراع وفي ذات الوقت لا يمكنها تقليد الطبقة المتوسطة، دون أن تنخدع بأنَّ الدولة يمكن أن تبقى داخل الشرعية لأطول وقتٍ ممكن، فالصراع السياسي فيه صراع للطبقات نتيجة ضعف اعترى الدولة شبيه بالضعف الذي يصيب الجيش.

يرى غرامشي أنَّ مكيافيللي هو اليعقوبي الإيطالي الأول، ويُعرِّف اليعقوبي بأنَّه هو الشخص الذي يضع نموذجاً للمجتمع ثم يوظَّف كل قواه لخلقه، فهو عارف بما يريد ويحدد أهدافه بعناية، وانتهى غرامشي إلى أنَّ اليعقوبية كانت تجسيداً مطلقاً للأمير حيث ينبغي تصويب أفكار مكيافيللي سياسياً وتاريخياً ويمثل "الأمير" وكتاب "فن الحرب" الدلالة الأوضح في ذلك، ويرى غرامشي "أنَّ سوء فهم مكيافيللي وكرهه قد أدى إلى الفشل في رؤيته رجل للسياسة وكثيراً ما أُتهم بتشجيع الاستبداد"[1]. كما أنَّه لابدَّ من الإشارة إلى أنَّ كتاب الأمير لم يكن في البداية بحثاً منظماً في عالم السياسة بل دعوة إلى تنظيم المجتمع الإيطالي داخل دولة منظَّمة والدليل موجود في القسم الرئيسي في كتاب الأمير حيث يركز مكيافيللي على تنظيم الدولة الإيطالية بأمير أقوى وما يزيد الأمر توضيحاً هو توجيهه لنداء من أجل تحقيق الهدف مركزاً على الدَّعم الشعبي ممَّا يعني حسب غرامشي لم يكن حالماً بل كان واقعياً.

إنَّ قومية مكيافيللي الثقافية ليست هي ما جذب غرامشي فلقد كان هذا حافزاً قديماً في الثقافة الإيطالية رغم أنَّ غرامشي لم يكن قومياً في أي حال من الأحوال، وعموماً هناك

[1] - جون كاميت: **غرامشي حياته وأعماله**، تر: عفيف الرزَّاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1984م، بيروت – لبنان، ص276.

ثلاثة أفكار في الأمير قريبة من اليعقوبية "أولا: يمثل الفصل الأخير من الأمير تحريضاً على تحرير إيطاليا من البرابرة وكان أمراً فريدًا من نوعه خاصة عند المثقفين الإيطاليين، وثانياً: كان يعرف أنَّ القوة وحدها لا تضمن نجاح برنامجه السياسي وثالثا: كان الحصن الأمثل للأمير هو شعبه لأنَّه لو امتلك الحصون دون هذه المحبة سوف ينهار بسرعة، لذلك فهذه الحصون لن تنقذه إذا كرهه الشعب"[1].

ثانيا: المكيافيللية والفلسفة الفرنسية

بعد التطرق إلى الفلسفة الإيطالية في علاقتها بالمكيافيللية وتأثر الفيلسوف غرامشي بالأفكار السياسية لمكيافيللي، نتحول إلى الفلسفة الفرنسية انطلاقاً من فلسفة ميشال فوكو **Michel Foucault** الذي قاد مشروعاً ابستيمولوجياً رغبة منه في إعادة قراءة مفهوم السلطة وأنظمة الفكر التي تحكم العقل الغربي، منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث مروراً بعصر النهضة وقد حاول فوكو البحث عن سلطة إستراتيجية والتي ظلَّت معقدة ومن هنا أراد تحليل آليات السلطة، كما حاول ألتوسير **Althusser** إعادة قراءة كتاب الأمير من جديد لتكوين نظرية جديدة في السياسة وكان ذلك بداية من عام 1962م وصولاً إلى الفيلسوف جاك دريدا **Jacques Derrida** في قراءته التفكيكية لمكيافيللي، فكيف قرأه الفلاسفة الفرنسيون؟

[1] - جون كاميت: **المرجع نفسه**، ص280.

1- ميشال فوكو Michel Foucault

إنَّ الحديث عن ميشال فوكو ورؤيته السياسية يكاد يكون ضرباً من المُحال إذ أخذنا بعين الاعتبار كل المعطيات التي تشير أنَّ فوكو لم يكن فيلسوفاً سياسياً أو منظِّراً في الفكر السياسي، رغم أنَّه من الفلاسفة الذين قرأوا لمكيافيللي أو أعادوا قراءته، ويقوم فوكو بتحليل منطق الحكم منذ عهد مكيافيللي مستعيناً بالحفريات والجينالوجيا والابستيمولوجيا وعلوم اللغة، مركزاً على القطائع والانفصال في تاريخ الفكر السياسي الأوروبي.

إنَّ أمير مكيافيللي وحيد في إمرته حيث ينصح في سياسة الأمير التحكم في القيادة بشكل جيد على مستوى القانون والاقتصاد والقيادة الحربية، وهنا كان على الأمير تعلم قواعد فنِّ الحكم والتحكم فيها، ليتم الانتقال من أمير بصورته الوسيطية إلى أمير يبحث عن المعنى الحقيقي للفضيلة والفطنة والعدالة، وصولاً إلى أمير يجب عليه قيادة مملكته حسب مقتضيات زمانه، وهناك "أمير ثانٍ مضاد يتأسس مفهومه من خلال النصوص المهملة في القرنين السادس عشر والسابع عشر وهما تحت عنوان المرآة السياسية المحتوية على مختلف أشكال الحكم الصادر سنة 1555م ما يعني وجود تعدد في أشكال الحكم داخل دولة الأمير ويقول ميشال فوكو: "كل من يريد حكم الدولة عليه أن يعرف كيف يقود نفسه بنفسه، ثم عليه أن يعرف تدبير منزله وممتلكاته ومجاله ليصل إلى حكم الدولة"[1].

[1] - اللحية الحسن: **مرجع سابق**، ص22.

يحدِّد فوكو مفهوماً للسلطة وهي ذات دلالات عامة وتعني علاقات القوى المتعددة التي تكون محايثة للمجال مع غيرها كالعلاقات الاقتصادية والمعرفية وغيرها وأينما توجد سلطة فهناك مقاومة منها الممكنة ومنها المتوحشة والمنعزلة العنيفة ، فالسلطة إستراتيجية معقدة في مجتمع معين، لذلك لابدَّ من تحليل آليات السلطة، ولقد كان مكيافيللي من القلائل الذين حاولوا أن يفهموا سلطة الأمير بدلالة علاقات القوة، فربما وجب أن نتقدم على غراره، خطوة أخرى نستغني عن شخص الأمير في فهم السلطة لنقتفي آلياتها انطلاقاً من إستراتيجية محايثة للائق الواقع"[1].

إنَّ الهدف الذي سعى إليه ميشال فوكو، من خلال قراءته لمكيافيللي هو أنَّ عقلانية الدولة قد تتطور دون أن يرتبط ذلك بالنظرية المكيافيللية بحثاً عن دولة بعيدة عن العنف، ومن هنا "يرفض فوكو فكرة تصورات الماركسيين للسلطة وتصورات الليبراليين القائمة على اعتبار أنَّ السلطة هي ما يتمحور حول المؤسسات والقوانين والدستور"[2].

من هنا تكون السياسة حرباً بوسائل مختلفة وليست الحرب سياسة بوسائل أخرى، وطور فوكو مفهومه للسلطة واتجه إلى تحليل الأعراق داخل المجتمع الأوروبي والخطاب العنصري النازي والستاليني ونتج عن ذلك توصله إلى نوع جديد للسلطة أسماها الحكوماتية أو الحكمانية ويريد بها ثلاث أشياء: أولا يعني بكلمة حكمانية ما تشكله المؤسسات، الأفكار،

[1] - علي عبود المحمداوي: **مرجع سابق**، ص279.

[2] - علي عبود المحمداوي: **المرجع نفسه**، ص280.

الحسابات وثانياً يعني بالحكمانية خط القوة في الغرب كله من خلال سيادة نظام وثالثاً وقد نعني بالحكمانية السيرورة التي بواسطتها وجدت في القرون الوسطى دولة العدالة.

2- لويس ألتوسير Louis Althusser

بداية اهتمام ألتوسير بمكيافيللي كان بداية من عام 1962م وأُعتبره فيلسوف السياسة الأول، وفي دروسه الأولى يركّز ألتوسير على الصعوبة في قراءة فلسفته والتي تُدهش الكثير، ويبدأ ألتوسير الكلام عن مكيافيللي انطلاقاً من القطيعة "الواضح أنَّ مكيافيللي مؤسس نظرية بدون أفكار قبلية"[1]. ويرى ألتوسير أنَّ مكيافيللي قد أعطانا الطريقة التي تكرِّس بداية القطيعة وإذا كانت كتابات مكيافيللي تدوم فهي مرتبطة بأشياء أخرى فالنظرية الوحيدة هي إرساء فكرة تطبيق السياسة.

يكتب لويس ألتوسير حول مكيافيللي كتابات كثيرة منها: "مكيافيللي ونحن"، "مكيافيللي الفيلسوف وفردانية مكيافيللي" بالإضافة إلى مجموعة من الكتابات الأخرى التي كتبها ما بين 1955 – 1975م ليكتب بعدها "السياسة والتاريخ من مكيافيللي إلى ماركس" عام 2006م، فالنظرية الجديدة لمكيافيللي جعلت ألتوسير يوجِّه أفكاره الفلسفية صوب النص الخاص به

[1] - Gerald sfez, Michel senellart. (2002). **L'enjeu machiavel** collection librairie du collège, international de philosophie, université de France, p143.

"ومن هنا تأكَّد ألتوسير من الطبع الخاص بالكتابة المكيافيللية دون أن ينسى التذكير والإشارة بأنَّ كتابه حول أعمال مكيافيللي أنَّ الفيلسوف كلود لوفور يوضِّح بشكل برّاق أفكاره"[1].

لقد ركَّز ألتوسير على تصور مكيافيللي في صنع أمير جديد بمبادئ جديدة، والغاية تكوين دولة جديدة، ليكون مكيافيللي المصدر الرئيسي للسياسة، ولذلك كما يرى مكيافيللي وألتوسير فيما بعد أنَّه حان الوقت لأمير منفرد بذاته أو حتى ديكتاتور، ويشرح ألتوسير من جهة ثانية الجذور التاريخية للحكم داخل الوسط الشعبي إلى جانب الصراع بين فئات الشعب أي بين الطبقات الكبرى والصغرى، وبالعكس رأي مكيافيللي يمثل دعماً للصراع بين الفئات الشعبية وهو في نفس الوقت أكثر من ضروري، "ومهما يكن فمكيافيللي يصوِّب اهتمامه نحو الوحدة الوطنية، مع تأسيس دولة قادرة على تحقيق هذه الوحدة"[2].

وتظهر فكرة مكيافيللي كما يرى ألتوسير في تصور أمير نختاره قادر على تأسيس دولة جديدة طويلة الأمد تطبِّق القانون وكتب ألتوسير يقول: "أنا أقول أنَّ مكيافيللي هو المُنظِّر للنظرية السياسية المكوِّنة والمؤسسة للدولة الوطنية، وِفق تأسيس دولة جديدة تحت إشراف أمير جديد وهذا ما كان ينادي به غرامشي في التأسيس الفعلي للدولة الوطنية"[3]. ومن هنا تظهر الخصائص الطباعية لمكيافيللي المتمثلة في الفردانية في التفكير.

[1] - Althusser.(2012) **l'adieu infini Emilio d'ipola**, prèface d'ètienne balibar traduit de l'espagnol par marie bardet université de paris, France ,p 101.

[2] - Althusser,2012,p104.

[3] - Althusser,2012,p105.

ولقد كتب مكيافيللي كتاب الأمير والخطابات بمفرده أخذاً بعين الاعتبار مسلمات العالم القديم، ويرى ألتوسير أنَّ مكيافيللي يُعدُّ من المؤرخين القلائل الذين بدأوا التفكير في تأسيس الدولة الوطنية ويتكلم عن لغة القوة العسكرية بدل لغة الحقوق لتأسيس الدولة ويتكلم بلغة السياسة البعيدة عن الدين.

إنَّ ألتوسير قد توصل إلى قراءة شيء آخر، ويتمثل في نظرية قوية للدولة وفي ضوء هذا التساؤل تكون الفضيلة هي الإمكانية التي تُعطي الاستمرارية الحقيقية للدولة، ويبقى مكيافيللي مؤسساً لنظرية أخرى للسياسة وبفضله وبدون شكٍّ أنَّ كلمة المطبِّق أضحت موجودة من هنا فصاعداً في كل النُّصوص الخاصة بألتوسير وليس بمعنى آخر، وإنَّما بتصور جديد داخل الكتابات والتي وجد فيها غاستون باشلار من بعده المرجع الأساسي لأفكاره.

المبحث الثالث: نقد الفكر السياسي المكيافيللي

إنَّ أفكار وأراء مكيافيللي السياسية والتي استعرضناها في بحثنا هذا تلقت العديد من الانتقادات خاصة فيما يتعلق بإلغائه للفضائل الأخلاقية في الممارسة السياسية، حيث أنَّ مكيافيللي وهو يراقب المتغيرات توصل إلى أنَّ الفضيلة والنوايا الطيبة ليست كافية للبقاء، ولا تمثل قانوناً من قوانين الحياة السياسية، لذا أصبحت نزعته للحكم ومفاهيمه مجردة من العاطفة، قاسية ومؤلمة في نهجها وخطتها للاستحواذ على السلطة، وإذا ما استعرضنا مقولات مكيافيللي في كتاباته وجدناه يقول: "حُبي لنفسي دون حُبي لبلادي"، ومن الأفضل "أن يخشاك الناس على أن يحبوك"، و"الغاية تبرر الوسيلة" ومثلها من العبارات الكثيرة، كلُّها تثبت أنَّه وصولي يتسلق على ظهور غيره ليصل مهما كان الثمن، بمعنى أنَّ هذه القيم التي يستعملها مكيافيللي للوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها تخلِّف وراءها سلوك اجتماعي منبثق من تربية سياسية هزيلة، فتخرق التربية السياسية سلوك المجتمع وتحرِّفه عن مساره الصحيح، لأنَّ سلوك الأدب السياسي والقانون السياسي محل تقليد للمجتمع المحكوم، فيحدث تناقض قابل للترجيح من جهة الحاكم فيتعمم سلوكه في مجتمعه فيصبح السوء مباحاً والمكيدة جزء من الخطط المستقبلية والإضرار بالآخرين مبرراً، ويصبح سلوكاً منحرفاً ممَّا يؤثر سلباً، وذلك لأنَّ شمول الانحراف في الأخلاق السياسية نذير دمارٍ شامل لكل الشعوب التي أخذت تنعدم فيها فضائل الأخلاق الفردية والجماعية.

هذه الانتقادات تسببت في تشويه سمعة مكيافيللي وصنفت أعماله من بين الأعمال المسوغة لممارسة الحكم الطاغي والمشجعة لإدخال الفساد إلى الميدان السياسي، وهذا ما عبَّر عنه **فريدريك الثاني** في كتابه **الرَّد على مكيافيلي** بقوله: "لقد أفسد ماكيافيلي السياسة ودمَّر مبادئ الأخلاق الصحيحة"[1].

واتهام أفكاره بأنَّها تحمل سموماً مضادة للإنسانية التي يعتقد أنَّ يدافع عنها وهذا واضح من قوله: "انتدبتُ نفسي للدفاع عن الإنسانية ضد وحشٍ يبتغي تخريبها (ويقصد هنا ماكيافلي) وتدمير وجودها، وقد وجهتُ في هذا المؤلف تفكيري كلَّه ضد سمومه...وانهمكتُ في الدفاع عن الرأي القائم بأنَّ مؤلف ماكيافلي خطير كغيره من المؤلفات الخطيرة الرائجة اليوم في العالم"[2].

وبهذه الروح المضادة للمكيافيللية نفسها، انتقد أيضا **جاك ماريتان*** مكيافيللي في مسألة علاقة الأخلاق بالسياسة بقوله: "إنَّ الماكيافيلية في الحقيقة لا تنجح لأنَّ قوة الشر هي قوة فساد...وقوة كهذه تدمر نفسها بتدميرها ذلك الخير الذي يكون عنصرها، ولذا فالمنطق الذي يقوم عليه نجاح الشر يحكم على ذلك النجاح بقصر العمر"[3].

---

[1] - علي قايدي: **مرجع سابق**، ص254.

[2] - علي قايدي: **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

[*] **جاك ماريتان Jacques Maritain(1882م -1973م)**: فيلسوف فرنسي كاثوليكي معاصر لأسرة بروتستانتية. كان لأدريا قبل اعتناقه الكاثوليكية، مؤلف لأكثر من 60 كتابا، ساعد في إحياء أفكار توما الأكويني في العصر الحديث، وكان له تأثير في تطوير وصياغة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

[3] - علي قايدي: **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها.

بالإضافة إلى ذلك، فقد مُنعت أعماله عام 1559م وبدأ الهجوم الكاثوليكي عليه منذ عام 1553م، مع كُتَيَّب للكاردينال الانجليزي **ريغينا لدبول** واتهامه بالكفر، هذا الهجوم السياسي الكاثوليكي أو البروتستانتي يُنحي باللائمة حينئذٍ عل مكيافيللي، وأصبحت لفظة مكيافيللي مرادفة للإلحاد والجور[1]. حيث اعتبرت الكنيسة أنَّ مكيافيللي هو شيطان رهيب هبط على الإنسانية فاراً من الجحيم[2].

وفي الوقت نفسه برز تأويل آخر لمكيافيللي خاطئ أيضاً، التأويل الديمقراطي وبموجبه يسعى مكيافيللي، بحجة تعزيز سلطة الأمير وأن يُظهِر للشعب عنفه وشراسته.[3]

في المقابل نجد أنَّ الدولة الكانطية تقوم على أساس الأخلاق الواجبة المسؤولة، ولا تنسجم مع المصلحية التي تنظر إلى نتائج الأعمال ولا تقوم على المبادئ والأصول القبلية.

لذلك نستطيع أن نحكم طبقاً للفلسفة السياسية الكانطية بأنَّه لا يوجد أيُّ تناقض أو تعارض بين الأخلاق والسياسة، لأنَّنا نستطيع العمل بالقوانين الأخلاقية، فالأخلاق تنسجم مع السياسة على أساس الواجب، ومن الجدير بالذِّكر أنَّ وجهة نظر كانط حول النظام السياسي الحقيقي الذي لا يمكنه أن يخطو خطوات يمكن الدفاع عنها من دون تكريم الأخلاق والاستناد إليها، فالسياسة بحدّ ذاتها فنٌّ معقد، لكنها لا تزدان من دون الأخلاق بأي

[1] - مجموعة من المؤلفين: **تاريخ الآداب الأوروبية**، ج2، تر: صباح الجهيم، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2013م، دمشق – سوريا، ص70.

[2] - عبد الغني سهاد: **السياسة والأخلاق عند نيقولا مكيافيلي**، مقال من الأنترنت، تمَّ نشره يوم 2009/80/01م على الساعة:12:06، على الموقع: **https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=456141** ، تاريخ الزيارة يوم 2023/05/19 على الساعة 10:15.

[3] - مجموعة من المؤلفين: **مرجع سابق**، ص70.

زينة أخرى، ولا بدَّ أن تنسجم الاختيارات السياسية في عملية اختيار القرار مع تعاليم العقل العملي .

ويرى إيمانويل كانط (1724 – 1804م) **Emanuel Kant** أنَّ صاحب الحق في التشريع هو إرادة الشعب ، لأنَّ الشعب لا يمكن أن يضرَّ بنفسه، بينما الفرد الواحد حين يُشرِّع لغيره قد يضرُّ بهذا الغير ولا أحد يريد الأذى لنفسه، فالشَّعب إذا شرَّع لا يريد الأذى لنفسه، ويربط كانط هذا الطلب بتأسيس الجماعة السياسية الأخلاقية ولأجل أن يحقق حالة إيجابية للنظرية السياسية التي كان يعتقد بها كانط لابدَّ من اِلتفاف غطاء التنوير على الجماعة أو المشروع السياسي الأخلاقي[1]. " في حين أنَّ مكيافيللي لا يرى البتَّة في السياسة إلَّا لعبة إرادات وأهواء ومواهب فردية"[2]، لكن توماس هوبز يرى عكس ذلك تماماً فالسياسة هي منبع الأخلاق ولا أخلاق دون السياسة.[3]

رغم الجوانب السلبية في فكر مكيافيللي وفلسفته إلا أنَّ هناك العديد من الجوانب الإيجابية، فهي فلسفة سياسية واقعية بعيدة عن عالم المثل والخيال، كما قدَّم مكيافيللي نصائح قيِّمة للحكام فيما يخص تسيير شؤون الدولة وكيفية التعامل مع الشعوب، حيث نجد أنَّه كان جدُّ صريح في تقديمه لفكره ونصائحه فيمل يخص عالم السياسة.

[1]- يسار أحمد: **مفهوم الفلسفة السياسية عند كانط / مجلة مداد الأدب**، العدد الخامس عشر، الجامعة العراقية، كلية الآداب، (د ت)، (د ب)، ص إيمانويل كانط، ص255 – 256.
[2] - جان توشار: **مرجع سابق**، ص356.
[3] - إمام عبد الفتّاح: **مرجع سابق**، ص259.

إنَّ واقعية مكيافيللي جعلت ما كتبه يُحدث ضجَّة في الأوساط السياسية، وبما أنَّ أفكاره وآراءه ونصائحه جاءت بعد تجارب ووقائعٍ إي أنَّها قابلة للتجسيد، فقد استفاد منها كثير من السياسيين واذكر على وجه الخصوص نابليون وهتلر وموسيليني وبنوتشي وغيرهم من الحكام في العالم.[1]

[1] - نورالدين حاروش : **مرجع سابق**، ص284.

خاتمة

خاتمة:

من خلال ما تم تحليله في هذه الدراسة، وبعد الإلمام بمجمل الأفكار حول النظرية السياسية عند مكيافيلي وعلاقته بالأخلاق، توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي حاولنا بقدر الإمكان الحصول عليها وفق المباحث الفلسفية التي إتبعناها:

1. عرف عصر النهضة فكر سياسي جديد مختلف على ما كان سائد في ذلك الوقت بزعامة مكيافيلي محاولا إيجاد حلول للمشاكل من أجل الحفاظ على الدولة من الإعتداءات، فلقد أدرك أنّ النظم السياسية التي كانت سائدة في أوروبا عقيمة، إمّا لضعف النظام القائم أو لضعف شخصية الحكام السياسيين أنفسهم لهذا حاول إنقاذ إيطاليا من الإنحطاط والخراب وفساد النظام البابوي.
2. بعد دراسة مؤلفات مكيافيلي تبين لنا إهتمامه الكبير كان منصب حول الحاكم، حيث أكدّ وجوب تمتعه بالقوة والمهارة والثقافة وان تكون غايته العليا دولته وشعبه حيث قدم له مجموعة من النصائح بهدف الحفاظ على حكومته والقدرة على السيطرة.
3. إنّ الطبيعة البشرية التي وصفها مكيافيلي تمتد إلى الحياة السياسية فشرية الإنسان تعيد إلقاء العنف في المقدمة السياسية، وفي صلب هذه الطبيعة يضع الحرب لأنّها إستنهاض وتواصل لعنصر الخبث، وبذلك هي إسترداد لهذا الشر الأصلي فكانت طبيعة الأمراء تمتاز بالفضاعة والغطرسة والغلظة.
4. إنّ القوة هي الوسيلة التي تمكن الأمير من تحقيق النتائج المرجوة، فمكيافيلي يقدم إذن القوة على الحق، وهي وسيلة وغاية في حد ذاتها ولما كانت القوة في الوسيلة الأولى في ممارسة السلطة فإنّها تدحض كل ما هو حق وأخلاقي وتبعا لذلك القوة هي حق مشروع لدى الحاكم.
5. لقد قتلت البابوية الروح الوطنية والعسكرية داخل نفوس الأمراء وماتت بذلك الحاجة إلى الصراع والمقاومة لذلك سعى مكيافيلي إلى فصل الدين عن السياسة ورصد أخطاء الكنيسة ورسم أفق ديني جديد يخضع للضرورة السياسية بالمعنى المكيافيلي للدين.

6. أساليب مكيافيلي في الممارسة السياسية كانت غير أخلاقية إلا أنّ الأوضاع التي كان يعيش فيها دفعت به إلى ذلك، لكن الغاية التي كان ينشدها غاية اخلاقية حيث كان يهدف إلى إعادة الوحدة الإيطالية وتجنب الصراعات والصدمات السياسية مما جعلته شعلة من شعل الفكر السياسي الغربي الحديث، كما أنّ النزعة الفردية التي كان ينادي بها مكيافيلي جعلت الفكر السياسي في تلك الحقبة محور إهتمامه الفرد وقيمته في الحياة أي أنّه محور السلوك الإنساني، كما أنّ مكيافيلي لم يصع الأخلاق والدين في مرتبة أقل من منطق الدولة، وإنّما أكد على إستقلاليتها عن قواعد الأخلاق والدين فمكيافيلي فصل الدين والأخلاق عن السياسة ممعنًا بذلك في فلسفة سياسية خالية من طابع الخير بل تحبذ عالم المؤامرات والدس والخديعة فعلى الحاكم من أجل الحفاظ على سلطته إستخدام قوة جائرة وذكاء خارق بمعنى أنّه على الأمير تقليد الأسد والثعلب، لكي يرهب الذئاب ويحمي نفسه من الوقوع في الأشراك.

7. إنّ مكيافيلي هو أول من نصح بالإعتدال والإنسانية لكن عليه أن ينتهي إلى الأسوأ إذا اقتضت الحال، ولكن من الأفضل ألا يبتعد عن الخير إذا إستطاع إلى ذلك سبيلا ومن الأجدى أن يكون محبوبا ومرهوب الجانب، ولكن من الأكثر حمايته أن يشيد صرح حكومته على الخوف منه، شريطة أن يعرف كيف يتحاشى الغدر، لأنّ الإنسان يتصرف بالخوف على نحو أيسر من تصرفه بالحب، وفي جميع الأحوال لا يرغب في إستعمال شيء للقسوة، لكن هنالك أيضا إستعمال حسن لها، عندما تكون ضرورية للأمن وإن وجدها تتيح ضمان أكبر خير للرعايا.

تعرض الفكر السياسي لمكيافيلي للكثير من الإنتقادات، إلاّ أنّ هذه الإنتقادات لم تكن مانعا أمام أفكاره السياسية بحيث ظلت هي السياسة الرائدة في العالم المعاصر، وهذا ما يؤكده الواقع الذي نعيشه اليوم فمعظم السياسيين اليوم يعتنقون الفكر السياسي المكيافيلي في تعاملاتهم السياسية سواء كان في الدولة الواحدة أو مع الدول الأخرى.

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: الحديث الشريف

ثانيا: المصادر

أ/ باللغة العربية:

1- نيقولا مكيافيلي: **الأمير**، تر: أكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا للطبع والنَشر والتوزيع، (د ط)، 2000م، القاهرة – مصر.

2- نيقولا مكيافيلي: **مطارحات مكيافيلي**، تعريب خيري حمّاد، دار الآفاق الجديدة ،ط3، 1982م،بيروت – لبنان.

3- نيقولا مكيافيلي : **فن الحرب**، تر:صالح صابر زغلول، مر: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، ط1، 2012م، القاهرة – مصر.

ب/ باللغة الأجنبية:

4- Nucola Machiavelli: **Le prince**, Texte Édition ,Le 1980, France.

ثالثا: المراجع

أ/ باللغة العربية:

1- إبراهيم شمس الدين: **مكيافيللي أمير الفلسفة السياسية**، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، بيروت – لبنان.

2- إسماعيل زروخي: **دراسات في الفلسفة السياسية**، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

3- ابن منظور: **لسان العرب**، دار الفكر، ط1، 1990، بيروت – لبنان.

4- إسماعيل علي سعد: **النَّظريات والمذاهب والنُّظم (دراسات في العلوم السياسية)**، دار المعارف، (د ط)، 2005م، الإسكندرية – مصر.

5- إمام عبد الفتّاح إمام: **الأخلاق والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)**، دار الكتب المصرية، (د ط)، 2001، القاهرة – مصر.

6- أمين عثمان: **روّاد المثالية، الفلسفة الغربية**، دار الثقافة للطباعة والنشر، (د ط)، (د ت)، القاهرة – مصر.

7- أنطونيو بوزوليني: **أنطونيو غرامشي حياته وفكره**، تر: سمير كرم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1977م، بيروت – لبنان.

8- برتراند راسل: **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشنيطي، المصرية العامة للكتاب، ج3، (د ط)، 1977، الإسكندرية – مصر.

9- توماس هوبز: **اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة**، تر: ديانا حرب وبشرى صعب، مر: رضوان السيد، ط1، 2011م، أبوظبي.

10- تومي عبد القادر: **أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث**، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع،ط1، 1432هـ – 2011م، الجزائر.

11- جان توشار: **تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط**، تر: ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، 2010م، دمشق – سوريا.

12- الجندي أنور: **مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام**، دار الكتب،(د ط)، (د ت)، الجزائر.

13- جون كاميت: **غرامشي حياته وأعماله**، تر: عفيف الرزّاز، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، 1984م، بيروت – لبنان.

14- جنفياف روديس لويس: **ديكارت والعقلانية**، تر: عبده الحلو، منشورات عويدات، ط2، 1977م، بيروت – باريس.

15- حاروش نورالدين: **تاريخ الفكر السياسي**، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط2، 2009م، الجزائر.

16- حورية توفيق مجاهد: **الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده**، مكتبة لأنجلو المصرية(ط3) ،1999م، القاهرة – مصر.

17- سعد فاروق: **تراث الفكر السياسي قبل الأمير وبعده**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة، ط19، (د س)، المملكة المغربية.

18- صبحي أحمد محمود: **في فلسفة التاريخ**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،1994 بيروت – لبنان.

19- صلاح علي نيوف: **مدخل إلى الفكر السياسي الغربي**، كلية القانون والعلوم السياسية الأكاديمية العربية في الدانمارك، ج1، (د ط)، (د ت)، (د ب).

20- عبد الرضا حسن الطعان: **مدخل إلى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر**، دار السنهوري، ط1، 2018م، بيروت – لبنان.

21- علي عبود المحمداوي: **الفلسفة السياسية المعاصرة من الشموليات إلى السرديات**، دار الروافد الثقافية للنشر، ط1، 2012م، السانية (وهران) – الجزائر.

22- علي عبود المحمداوي: **الفلسفة السياسية**، دار الروافد الثقافية، ط1، 2015م ، بيروت – لبنان.

23- العوا عادل: **الأخلاق**، المطبعة الجديدة، (د ط)، 1997م، دمشق – سوريا.

24- غريغوان فرانسوا: **المذاهب الأخلاقية الكبرى**: تر: قوتيه المعروفي، منشورات عويدات، ط3، 1984م، باريس.

25- قربان ملحم: **قضايا الفكر السياسي القانون الطبيعي**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط1، بيروت.

26- كونتين سكندر: **أسس في الفكر السياسي الحديث**، تر: حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، ج1، ط1، 2012م ، الحمراء، بيروت – لبنان.

27 – اللحية الحسن: **الردّ على مكيافيلي**، إفريقيا الشرق، 1999م، بيروت – لبنان

28- ليوشتراوس وجوزيف كروسي: **تاريخ الفلسفة السياسية**، تر: محمد سيد أحمد، مر: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، (د ط)، 2005، الجزيرة، القاهرة.

29- مجموعة من المؤلفين: **تاريخ الآداب الأوروبية**، ج2، تر: صباح الجهيم، الهيئة العامة السورية للكتاب، 2013، دمشق – سوريا.

30- محمد علي عبد المعطي/ محمد علي محمد: **السياسة بين النظرية والتطبيق**، تق: محمد علي أبو ريان، دار الجامعات المصرية، (د ط)، 1996، القاهرة – مصر.

31- محمد افيروز الأبادي: **قاموس المحيط**، (د ن)، ج1، (د ط)، 1913م، (د ب).

32- محمد نصر مهنا: **علوم سياسة الأصول والنّظريات**، مؤسسة شباب الجامعة، (د ط)، 2009م، القاهرة – مصر.

33- محمد وقيع الله أحمد: **مدخل إلى الفلسفة رؤية إسلامية**، دار الفكر، ط1، 2010م، دمشق – سوريا.

34- مصطفى إبراهيم مصطفى: **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، (د ط)، 2000، الإسكندرية – مصر.

35- مصطفى حسن النَشار: **أعلام الفلاسفة حياتهم ومذاهبهم**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط1، 1432هـ - 2011م، عمّان – الأردن.

36- مظهر كمال: **ميكيافيليو المكيافيلية**، منشورات دائرة الشؤون الثقافية والنشر، (د ط)، 1984، بغداد – العراق.

37- مهدي محفوظ: **اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط3، 1428هـ-2007م، بيروت – لبنان.

38- نورالدين حاروش: **تاريخ الفكر السياسي**، دار الأمة للنشر والتوزيع،ط1، 2004م، الجزائر.

هشام محمود الإقداحي: **تاريخ الفكر السياسي**، مؤسسة شباب الجامعة ، (د ط)، 2010، الإسكندرية – مصر.

39- وولف فرنسيس: **أرسطو والسياسة**، تر: أسامة الحاج، دار النشر والطباعة والتوزيع، ط1، 1994، بيروت – لبنان.

40- يوسف كرم: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف، ط5، 1119م، القاهرة – مصر.

ب/ باللغة الأجنبية:

41- Althusser.(2012) **l'adieu infini Emilio d'ipola**, préface d'Étienne balibar traduit de l'espagnol par marie bardet université de paris, France.

42- Gerald sfez, Michel senellart. (2002). **L'enjeu machiavel** collection librairie du collège, international de philosophie, université de France.

رابعا: قائمة المعاجم والموسوعات:

1- أندريه لالاند: **الموسوعة الفلسفية**، منشورات عويدات، المجلد1، ط1، 1981، بيروت – لبنان، باريس.

2- بدوي عبد الرحمان: **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، 1984م، بيروت – لبنان.

3- جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، (د ط)، 2006م، بيروت – لبنان.

4- داود نبيل: **الموسوعة السياسية المعاصرة** (المدارس اللسانية- مصطلحات – منظمات وهيئات قضايا ق20 شرح للمصطلحات والمنظمات والقضايا والمناهج السياسية)، مكتب غريب، د (ط س).

5- عبد المنعم حنفي: **المعجم الفلسفي**، الدار الشرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1990م، القاهرة – مصر.

6- عبد الوهاب الكيلاني: **موسوعة السياسة**، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، ج3، ط2، 1993م، عُمان – الأردن.

7- محمود يعقوبي: **المعجم الفلسفي**، دار الميزان، ط2، 1998م، الجزائر، ص49.

8- ناظم عبد الواحد الجاسور: **الموسوعة السياسية والفلسفية والدولية**، دار النهضة العربية، ط1، 1429هـ – 2008م، بيروت – لبنان.

خامسا: المجلّات:

1- علي قايدي: **علاقة السياسة بالأخلاق في تصور ماكيافلي لممارسة الحكم**، (مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية)، العدد10، 2008، الجزائر.

2- منصور بن لرنب: **أي مستقبل لعلم السياسة في العالم العربي**، المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والإعلامية، (د ط)، (د ت)، (د ب).

3- يسار أحمد: **مفهوم الفلسفة السياسية عند إيمانويل كانط / مجلة مداد الأدب**، العدد الخامس عشر، الجامعة العراقية، كلية الآداب، (د ت)، (د ب).

سادسا: المواقع الالكترونية

عبد الغني سهاد: **السياسة والأخلاق عند نيقولا مكيافيلي**، مقال من الانترنت، تمَّ نشره يوم 2009/80/01على الساعة:12:06، على الموقع:

https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=456141، تاريخ الزيارة يوم 2023/05/19 على الساعة 10:15.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

مقدمة.....5

الفصل الأول: السيرة الذاتية لمكيافيللي وإنتاجه الفكري

المبحث الأول: مولد مكيافيللي ونشأته وظروف عصره 11

1- عصر مكيافيللي 11

2- مولده ونشأته..... 12

3- الظروف المؤثرة في فكر مكيافيللي..... 14

المبحث الثاني: إنتاجه الفكري..... 16

1- كتاب الأمير 16

2- كتاب مطارحات مكيافيللي 17

3- كتاب فن الحرب 18

المبحث الثالث: مكانته في تاريخ الفكر السياسي.....21

الفصل الثاني: فلسفة مكيافيللي السياسية

المبحث الأول: مفهوم السياسة والأخلاق..... 25

1- مفهوم السياسة 25

أ/ مفهومها اللغوي 25

ب/ مفهومها الاصطلاحي.....25

ج/ المفهوم الفلسفي.....26

2- مفهوم الأخلاق..... 27

أ/ مفهومها اللغوي 27

ب/ مفهومها الاصطلاحي.....27

ج/ السِّياق الفلسفي لمفهوم الأخلاق 29

المبحث الثاني: أنظمة الحكم وصفات الحاكم عند مكيافيللي 31

1- أنظمة الحكم وأشكال الحكومات.....31

2- صفات الحاكم وأهدافه عند مكيافيللي.....38

المبحث الثالث: فصل السياسة عن الأخلاق عند مكيافيللي.....43

الفصل الثالث: قراءة في الفكر السياسي المكيافيللي

المبحث الأول: المكيافيللية والفكر السياسي الحديث 50

1- النظرية السياسية عند توماس هوبز 50

2- من سيادة الحاكم إلى سيادة الشعب عند جون لوك.....53

3- نظرية السيادة الشعبية عند جان جاك روسو 56

المبحث الثاني: تأثير المكيافيللية في الفكر السياسي المعاصر 60

1- أنطونيو غرامشي والمكيافيللية.....60

2- المكيافيللية والفلسفة الفرنسية 62

أ/ ميشال فوكو.....63

ب/ لويس ألتوسير 65

المبحث الثالث: نقد الفكر السياسي المكيافيللي.....68

خاتمة.....74

قائمة المصادر والمراجع 77

ملخص الدراسة:

تُعدُّ هذه الدراسة من الدراسات التحليلية في الفلسفة، تطرقنا من خلالها إلى تحليل الفكر السياسي للمفكر والفيلسوف الإيطالي **نيكولا مكيافيللي** وكيف كانت نظرته وفلسفته في الممارسة السياسية والعلاقات السياسية بصفة عامة، حيث حاولنا إعطاء نبذة تاريخية عن حياته، والعصور التي عاشها في ظِلِّ هذه الفلسفة السياسية، وكيف كان تأثيرها على فكره، ثُمَّ بعد ذلك عرضنا أفكاره وسياسته، وكيف أبعد الاعتبارات الأخلاقية، في الممارسة السياسية، في مبدأ العمل السياسي القائم على " **الغاية تبرِّر الوسيلة**" في كتابه " **الأمير**" ثم قمنا بتقييم هذه الفلسفة ونظرة الفلاسفة في هذا الفكر ونقده وكيف أثرت على المفكرين والسياسيين.

الكلمات المفتاحية:

الفلسفة السياسية ، المثالية ، الفكر السياسي ، كتاب الأمير ، الواقعية ، السياسة والأخلاق.

Study summary

This study is one of the analytical studies in political philosophy, through which we discussed the analysis of the political thought of the Italian thinker and philosopher **Nicolas Machiavelli** and how his view and his philosophy were in political practice and political relationship in general, where we tried to give a historical overview of his life, and the eras he lived under this political philosophy, and how it affected his thought, after that we presented his ideas and policy, and how he removed ethical considerations, in political practice, in the principle of political action based “ **The end justifies the means** “ in his book “ **The Prince**“. Then we evaluated this philosophy and the Philosophers, view of this thought and its criticism and how it affected thinkers and politicians

Key words:

Political philosophy, Idealism, Political thought, The prince’s book, Realism, Politics and ethics.